الإعجاز العلمي للآيات الكونية

أ.م.د. مشكور العوادي

كلية الآداب - جامعة الكوفة

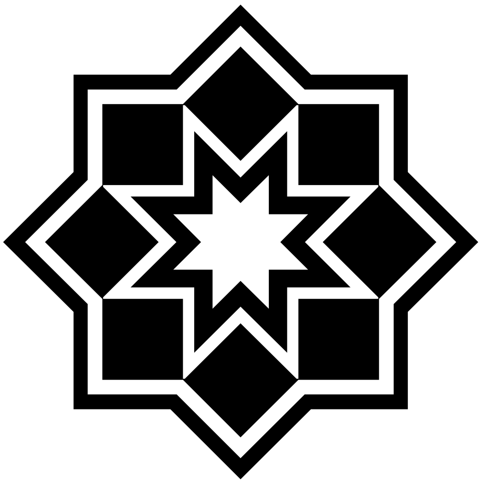

الـــمُقَدِّمَة :

انطوى القرآن العظيم على آليات البرهنة والوجدان في توضيح المنهج الإلهي وسننه الحكيمة، ومن تلك الآليات ما زخرت به آياته الكونية وفرائدها العلمية مصداقا حيا يومئ إلى الإعجاز القرآني بكمائنه النظامية التي تمثل خروجاً من القوة الى الفعل أي: من الكمون الى الظهور بلحاظ الاستمرار الحركي في التجدد المعنوي للقرآن، إذ تتواصل عندها عملية الربط بين علة الإعجاز الخفية ومعلوله وهو استنباط المعنى تفسيراً وتأويلاً، ومع ذلك فلا نصل الى سرّ الإعجاز إلاّ بفتح الكامن الأخير له بلحاظ هيمنته على الظاهرة الكونية؛ وبما أنّ هذه العملية مستحيلة في الوقت الحاضر فلذا يتحول استشراف فعالية هذه الكمائن الى تقرّبات تفسيرية وفكريّة متأملة وجادّة...

فالهدف الرئيس للآيات الكونية واستعراضها هو تعدّد المظاهر العلمية فيها مع توحد المنشىء والخالق لها، فذلك التعدّد يشير الى واحدية المظهر الاعجازي، أما التفصيل في هذه الآيات فهو ما يثير تنبه أصحاب الشأن والاختصاص كل في مجاله واختصاصه.

فهذه الآيات تحمل السمة العلمية فقط وهي (وصف الظاهرة الكونية) وقد تأتّى إليها الإعجاز من منطقتها النظامية، فهي لا تشرح أسبابها العلية والغيبية ولكنّ الراسخين في العلم يغوصون وراء المعارف العميقة حتى يصلوا من هذه الظواهر السطحية الى المناطق العلمية النظامية.

أمّا الإعجاز القرآني في هذه الآيات فهو نفسه الإعجاز الكموني الذي لا نفاد له بلحاظ كمائنه النظامية وشموليتها لجميع الأزمنة وجميع الأمكنة الى قيام الساعة، وهنا يعطي هذا الإعجاز للآيات الكونية دعماً وقوة على اعتبار اختراقه لتصرمية الزمن وتهافته أمام صمدانية الخطاب الإلهي ورسوخه كشجرة ثابتة وفرعها في السماء إذ تبقى هذه الكمائن وهي طاقة قرآنية مستجنة تتطلّب بوّابة للخروج منها، وهذه البوابة على نحو التمثيل (عبارة عن رحم لولادة نظرية ما) فيكون الانجاز العلمي عند ذاك عملية مخاض فكري ازاء الكمائن وهي تمثّل الجنين المستعد للولادة، وهذه الولادة لا تتكامل إلاّ بتجمّع الارهاصات العقائدية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية... المناسبة للوليد الجديد وهو النظرية العلمية.

من هنا مضى البحث بجهد تقريبي نحو الحقائق القرآنية لاستجلاء الإشارات النصية العلمية قدر الإمكان والإفادة وبحسب الظاهر والواقع القرآني المتاح مستعينا بدراسات قرآنية تحليلية علمية وبلاغية كاشفة قديمة وحديثة تتصل بنظاميته وفرائد إعجازه بعامة والإعجاز العلمي على وجه الخصوص؛ لأنّ القرآن لا يأبه بغيره من النصوص العلمية والمعرفية المتوافرة مهما كانت رصانتها وموافقاتها لأنّها خاضعة للعقلية البشرية القاصرة... على ذلك حاول الباحث رصد ما قيل بصدد هذه الاحتمالات العلمية أو منطقة الغموض العلمي بالإيماءات القرآنية المعضدة بالكمائن وهي منطقة لا يمخر عبابها إلاّ من كان ذا قدم راسخة في الإيمان... من هنا لجأ بعض المفسرين أو الدارسين الى تناول هذه الاحتمالات بالجنبة التأويلية لغموض المعنى في تلك المنطقة حيث إنّ الظاهر لم يستوف جوانبه وهذا ما حصل فعلاً لعدم تكامل النظرية الشاملة للقوانين العلمية في العقل البشري.

وبعد: فلا بدّ من القول إن الكتابة – في هذا الموضوع – على ما فيها من إفادة وعمق وجدّة كان بها حاجة منتظرة الى التأنّي المتطاول والتدبر الفائق والاستيعاب الدقيق؛ وهذه ما كان الباحث يحوم حولها جاداً مثابراً مستقصياً بالقدر الممكن قرآنياً وعلمياً آملاً أن تكون كتابته صحيحة في مضمونها واضحة في مؤداها: لا سيما وأنّ عدم الدقة العلمية محتملة في هذا الباب وذلك لاضطراد التقدم المعلوماتي في استكناه معالم الآيات الكونية ووجوهها يوماً بعد آخر فضلاً عن غلبة التعبير العلمي وإشكالاته على كثير من مراجع الموضوع وآفاقه وتعليقاته.

وإنّي لأرجو أن أكون قد حققّت جانباً قريباً في تدبر الإعجاز القرآني؛ نسأله سبحانه السّداد والصّواب: (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل...) .   والحمد لله أوّلاً وآخراً

المدخل: الإعجاز النظامي للقرآن

إنّ الإعجاز متأتٍ من العجز الذي هو خليق بالجهة الإمكانية فقط، أمّا الجهة الالهية فلا تعجز أبداً بل هي معجزة، وتمتلك الإعجاز لاقتدارها على تبكيت الآخر وجعله مضمحلاً؛ وهذا من إمكاناتها الخارقة على طيّ كلّ شيء تحت بساطها الوجودي علماً وكينونة.

ولما كان القرآن في أساسه الوجودي أو الدلالي هو رصيد فكري لا متناه فإنّ إعجازه يمثل استكناه بحار تلكم الافكار لاستشراف كلماته.

وهذا يعني أنّ جوهر إعجازه الممتد المتطاول هو من أساس ذلك الإعجاز الفكري المحفوظ بحساب أنّ العبارة الفكرية هي اوسع بكثير من العبارة اللفظية حيث إن كلمات الله لا نفاد لها وذلك لعدم نضوب الرصيد القرآني في تثوير المعاني.

وإذا ما اعتبرنا أنّ كلامه سبحانه عين ذاته فهنا يكون الكلام عين الأحدية المتفردة والمتحفظة بخصوصيتها التي لا مثيل لها ولا قرين ولا ضدّ ولا شبيه...

وتدل هذه على امتداد الإعجاز ما دام في الكون معارض كما تدل من قبل على انه من عند الله سبحانه لان صفات هذا الإعجاز هي صفات الله بل إنّ لا نهائية العلم الالهي وحدها تشير وبقوة إلى مصدر اللاّمتناهي لأنّ الإنس والجن من الكائنات المحدودة، لذا فكل ما تقول أو تفعل أو تفكر محدود بلحاظ ذواتها وهكذا يستحيل أن تكون نشاطاتها القولية والفعلية والفكرية هذه معجزة او محاكية للقرآن لفقدانها هذا العنصر وهو اللانهائية لانها محدودة يقول الغزالي: إنّ الله سبحانه ((هو الذي لا يتناهى العلم في حقه ويفارق علمنا علم الحق تبارك وتعالى في شيئين : أحدهما انتفاء النهاية عنه، والآخر إنّ العلوم ليست في حقه بالقوّة والإمكان الذي ينتظر خروجه بالوجود بل هو بالوجود والحضور، فكل ممكن في حقه من الكمال فهو حاضر موجود))(١) لذا أصبح اللاّتناهي العنصر المائز الرئيس الذي يسف بقول المخلوقين أمام كلامه تعالى.

أمّا دلالة المكنون القرآني فهو المحفوظ في قلوب المؤمنين لأنّ الاكتنان أو الاستجنان هو التستّر والكمون، ومنها يكون خروج كمائن القرآن الإعجازية العلمية بحسبان ((سبق هذا الكتاب الخالد بالاشارة الى عدد من حقائق الكون وظواهره لم تكن معروفة لا حد من البشر في زمن تنزله ولا لقرون متطاولة من بعد تنزله واثبات أن القرآن الكريم الذي أوحى به إلى نبي أمي صلى الله عليه وسلم في أمّة أمية قبل أربعة عشر قرناً يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يتمكن الانسان من الوصول اليه، إلاّ منذ عقود قليلة وبعد مجاهدات طويلة عبر عدد من القرون المتواصلة وهذا لا يمكن لعاقل أن يتصور إمكانية حدوثه إلا بوحي من الله الخالق البارىء المصوّر)) (٢).

وعندها يكون التّربص والتّرقب والتّرصد والاكتنان من مهمات آليات هذه الكمائن النظامية المعجزة لإظهار العلم الالهي على نحو التدريج وفقاً للمقتضى والحكمة فمثلاً إنّ التّربص وهو الانتظار بالشيء... يقصد به أمراً ينتظر زواله أو حصوله، فهو عملية مراقبة في شبكتي الزمان والمكان، كأن ترصد كامنة تراقب الزمن حتى حان حينها الآني انتهضت بمقوماتها القرآنية الإعجازية لتنافح عن القرآن العظيم علماً ووجوداً كما وتراقب الحركات الفكرية وهي متوزعة بحسب الإماكن في ثنايا الكون لمن يحاولون ارتياد تقليد القرآن ولو من بعيد وأنّى لهم التناوش... وكذلك الرصد هو الاستعداد والترقب كما يقول الراغب الأصفهاني(٣) وهو من الإعجاز أي الإنحفاظ بالإعجاز.. وفي هذا نلحظ أنّ الآيات الكونية هي نسق متفرد بسماته المعجزة عبر الترصيف الاعجازي العام وهي في حدود الدلالة المعنوية لكمائن القرآن ذات دلالة على ديمومة القرآن وامتداده بإعجازه وعلومه عبر فيافي الزمان والمكان انطلاقاً من لانهائية خزينه الملكوتي الثر.

والدليل الحاسم على وجود هذه الكمائن القرآنية قوله تعالى: (إن ربك لبالمرصاد)(٧) فالمرصاد

هو عين كمونية راصدة لكل شيء، لأنّها عالمة بكل شيء ، لذا يتعاضد عندها الرصد والعلم لأداء وظيفة الحفظ الالهي، ولمّا كان هذا الحفظ من توابع النكتة الاعجازية فإنّ الإعجاز عندما ينطلق في طريق معيّن ينحفظ كل ذلك الطريق به وكأنّ الإعجاز قدم ملكوتي تنحفظ آثاره في الأرض وتبقى بدون تأثير من الريح السافية والامطار الماحية!

وعلى ما تقدم: فكلّ هذه تهيؤات أمدّنا بها القرآن العظيم لاختزال منطقة الشر لأقل ما يمكن وذلك بخنق المملكة الشيطانية إلى أقصى حد ولكن كل هذا – ومع شديد الأسف – مرتبط بإرادة الانسان؛ فإذا ما أراد الإنسان توسيع مملكة الشر توسعت وليس بمقدور ابليس نفسه إلاّ على الإغواء فقط، وإلاّ فإنّ كيده ضعيف بصريح نصّ القرآن؛ لأنّ القوّة المطلقة لله تبارك وتعالى وهو غني عن العالمين وما يكلّف الانسان به فذلك لصالحه وهو من اللطف والحكمة والتكريم....

١-الآيات الكونية وثوابتها القرآنية:

وهي الآيات التي تمثل ثبوت ظواهر ناموسية في الكون عبر زمانه ومكانه وسمّيت ((آيات)) نتيجة ثبوتها وعدم تغيرها بالاستناد إلى كشّافات القرآن وهي ترتبط بالكون المادي من جهة وبالعلّة الغيبية الإلهية من جهة أخرى إذ أنّ إشاراتها إلى النّواميس ليس بما هي هي؛ لأنّ النّواميس ثوابت وهذه لم تأخذ درجة الظهور من الكمون إلى الآن على الرغم من أن التدويني على وفاق التكويني ولكن هناك حاجزاً (برزخياً) بين النصّ التدويني والناموس التكويني، فالنص التدويني يشرح الظاهرة الكونية بدون إدخال الأثر، أمّا الظاهرة الكونية فتنطوي على الأثر والمؤثر معاً.

من هنا فالقضايا القرآنيّة المستنبطة عن الكائنات ودرجات أحكامها من اليقين ومطابقة الواقع يكون الأثر فيها عملية ديالكتيكية تدرجيّة من الوجود الذهني الخامل إلى الوجود الحقائقي الفعال.

فمن الآيات الكونية – كما يقول الأستاذ حنفي أحمد- ((ما يشير إلى سننه تعالى وطريقته في إيجاد المخلوقات وفي تدبير أمرها ومنها ما يشير إلى أنواع المخلوقات ودلالاتها دون وصفها أو يصفها من حيث التكوين والتخصيص بالصفات ثم الهداية الى غاياتها المحددة التي خلقت من أجلها وهذا النوع هو غالب الآيات الكونية)). (٥)

إذن فمراميها أبعد من التأصيل العلمي لأنها جاءت لترسيخ الإيمان من خلال السياق العلمي الذي تتبناه معظم العقول البشرية لأنّه من باب الإقناع الحسي والتجريبي الدامغ في الحياة الواقعية للانسان؛ وقد مثّلت هذه الآيات كمائن رصدية للظواهر الكونية في آي القرآن مثل آيات الليل والنهار والنجوم والشمس والقمر والسموات والأرض بما فيها من غيب وشهادة لانطواء((كلام الله على الحكم كلها علميها وعمليها.. بدلالة قوله تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)(٦) وقوله: (..مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ...)(٧) وقوله: (..مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...(٨)) (٩) وبلحاظ الإنطباقية بين التكويني والتدويني تحدث الانطوائية أو الإنهاء الكوني بطيّ السماء؛ فهو ينطوي حقاً وصدقاً بلحاظ كلمات الله التامات الفعالات، لذا كان الامتداد أكثر وضوحاً في هذه الآيات لأنها بغير أسباب نزول، ونحن نعلم أنّ هذه الأسباب نافعة في النكهة التفسيرية، لكنّها هنا في هذه المباحث لا نحتاج إليها وعندها تؤخذ تاريخية الإعجاز بلحاظ تاريخية النص المعجز وليس دليلاً على استمرارية النزول، لذا تقع هذه الآيات مع قسم الآيات ((التي نزلت لأجل الهداية والتربية والتنوير دون وقوع سبب معين- في عصر الوحي- أثار نزولها...))(١٠) لذا فإنّ الوظيفة الرئيسة للإعجاز العلمي في هذه الآيات يكمن في حشد الحالة الإيمانية في النفس الانسانية وإنمائها من دون النظر الى الوظيفة الثانوية وهي التحدي.

وكامنية هذه الآيات بلحاظ أنّ الله سبحانه تعالى يعلم أنّ الإنسان سيعبد العلم اعتماداً على ما أوتي منه ويغترّ به ملحداً بربّه كما هو واقع حال معظم علماء الغرب في القرن الحاضر فهم علمانيون

وثيقتهم العلم المشاع بالعالم فلا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لذا كانت مهمتها عن طريق الثابت الإعجازي الخاص بالمحور العلمي الذي يتسم بانطوائه على هذه الآيات الكونية، إذ التبصر في هذه الآيات ملحوظاً في القرآن عبر التدبر العقلي تخصيصاً أي أنّ الفتح العلمي للآية الكونية هو محورها الأساس في بحثها القرآني؛ بما يدلّل على أنّ النكتة العلمية لا تنفك عن العرض القرآني للآية الكونية. وبما أنّ العقل البشري هو وساطة لإظهار الكمون القرآني وإخراجه فكان ظهورها التدريجي من خلال كمونها التحققي وبأمر من الله عبر عقول قسم معين من عباده.

وعلى ما تقدم: فلو اطلع الملحدون على هذه الكمائن الإعجازية لأزّتهم أزّاً، وعرّفتهم أنّ آخر مبتكراتهم العلمية قد صيح بها قبل ألف واربعمئة سنة في جنبات صحراء قريش في جزيرة العرب.

أمّا ثوابتها القرآنية فهي مستلّة من مضمونات آي الذكر الحكيم وقد رفدت القضايا العلمية بمعطيات مستمرة ومتواصلة في البحث ((في أكثر من (١٠٠٠) اية بهدف الاستشهاد بقدرة الخالق عز وجل غير المحدودة وعلمه وحكمته تعالى الذي خلق هذا الكون والقادر أن يخسف به ثمّ يعيده تارة أخرى))(١١) . وهنا المنّة القرآنية العلمية لفتح الأبصار والاستدلال بهذه الظواهر على وحدانية الخالق واستشعار قدرته وعظمته ((على الإحياء والإعادة وعلى البعث والنشور))(١٢) ؛ في مصاديق كونية مضطردة لظواهر نشورية (معاديّة) واحدة، فما كان موجوداً يعدم وما كان معدوماً يوجد كبعث له وهذا على المستوى الكوني بأجمعه أما على مستوى الكرة الأرضية فلكل ليلة نهار ينهيها وينطبق عليها أفعال الولوج والتّعاقب والتّسخير والتّكوير والغشيان...وكذلك الأموات تحيى من أجل البعث والنشور وهذا على مستوى النفس البشرية لأنّ البعث والنشور حالة مستقبلية موعودة للبشر وللسماوات والأرض، ومن هنا فالظواهر الكونية في طريقها للبعث والنشور.

وهذه الثوابت التي تجلت في القرآن على نحو الظواهر الفلكية كالخسوف والكسوف أو التغيرات الفيزياوية الأرضية كالبراكين والزلازل أو النظام التعاقبي لليل والنهار والشمس والقمر أو الإيساع الكوني أو الحركة الكونية العامة للأفلاك والكواكب والعدّادات الفلكية، والجذب الكوني العام بالترابط المحكم بين النجوم والشموس والمجرات والكواكب- الذي لولاه لانفرط عقد الكون وخلق السماوات والارض (التكوين والايجاد من العدم) والوحدة الخالقية فوحدة الخالق تمثل قيوميته (لا اله إلاّ الله هو الحي القيوم)، ووحدة المخلوق تشير إلى أنّ كل هذه المخلوقات تعود إليه شاءت أم أبت...، وقانون النظام الكوني في الدقة والصنع إذ لا عبث في الكون مطلقا.. والسباحة الفلكية وهي قانون عام يسري على كل جر م صغر ام كبر في هذا الكون الفسيح، فلا محل لشيء ساكن فيه بل الكلّ يسبح ويتحرك بالقوّة الى غاية لا يدركها الا الله سبحانه، مصداقها الآية: (وكل في فلك يسبحون)(١٣) فلكل شيء غاية بمصداق هذه الآية حتى تستقر الشمس إلى غايتها لقوله تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)(١٤) وغيرها من آيات الخلق...والمهم منها: توضيحه احداث الكون وهو ما أثبته العلم الحديث أن الكون محدث وغير قديم إذ شاء الله أن يحدثه بالأمر الكنّي (كن فيكون) وما يترتب على حلقه من إيساع تمددي متواصل الى وقتنا هذا، فالكون في توسّع مستمر وتطوّر وتجدّد بين الكينونة والفساد، وإشارته القرآنية (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..)(١٥) إلى حدوثهما وهذا الإحداث يمثل الآية الكبرى التي يعتزّ بها القرآن لأنّها مصدر الخلق والوجود..أمّا الإنهاء الكوني لقوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ...)(١٦) فهو بقدرة فاعله لا نفاذ لها وهذا قد يدخل ضمن التهديد والوعيد ومشاهد القيامة وفناء كل شيء بالإذن الالهي وهذا الفناء شكلي الهدف منه عودة الجميع اليه لذا جاء تمام الآية بقوله: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ). وسنقف بإيجاز عند إشارات من هذه الحقائق القرآنية في صفحات البحث.

إذن فمن هذه القضايا ما يتّصل بنشأة الكون وتطوره ونهايته وخلق السماوات والأرض وتدبر الأمر فيها كتناوله لنظام الزوجية لقوله تعالى:(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)(١٧)، فكل شيء مزدوج في جيناته أو تركيباته أو ذراته ما عدا خالق الأشياء المتحفظ بوحدته تميزا عن بقية خلقه

فزوجية الكائنات من النواميس الكونية فهو قانون كوني وجدناه حتى في الذرة وهي زوجية تحتوي على الكترون سالب وبروتون موجب وهكذا ولكن هنا الازدواجية باتجاه الفناء اذ لو اتحد الكترونان سالب ومضادّه لانفجر كلاهما وتحولا الى طاقة أما الاتحادية في الكائنات الحية فباتجاه البناء والتكوين والتناسل((واستمرار الحياة مظهر كوني آخر للتوافق بين الطبيعة ومهمة تيسير الحياة.))(١٨) ؛ وقد تكرر هذا الأصل ((تكراراً متجدّد الأساليب والمعارض دليلا على القصد والتدبير في سنن الوجود وهو لا ريب أقوى البراهين على القصد وابتداع الوسيلة إليه))(١٩).

ومنها ما يتصل بالومضات العلمية حول عالم المجرات، والمجرة((هي الوحدة الأساسية في تركيب الكون))(٢٠) والنجوم كمّاً وكيفاً كتناوله للسماء ذات البروج وبيئة الكون ومواقع النجوم ومسك السماء أو تدبير الخلق في السموات والأرض وغيرها...

كقوله سبحانه تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)(٢١).

إنّ الله سبحانه تعالى يمسك السماء وذلك ببقاء عملية الإنفتاق قائمة أي فصل الأرض عن السماء بإذنه فإذا شاء تدميرهما رتقهما فعادا رتقاً واحداً متحدين لا انفصال بينهما وعندها يكون افناء للسماء والارض.

وفحوى قوله تعالى: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) بالمنظور العلمي: إن الآية الكريمة – كما يقول احد الباحثين المحدثين((لا تزال تحتوي على عمق وإعجاز...فلو هبط الأوزون إلى السماء الأولى أو إلى سطح الأرض لما بقيت حياة على سطح هذا الكوكب!. طبعا هناك موازنة طبيعية في حفظ الأوزون في أعالي السماء الثانية وعدم هبوطه إلى الأرض وهذا لطف من الله تعالى)).(٢٢)

فهنا ينظف الأوزون الأشعة الشمسية من الإشعاعات الكونية الضارة فهو بمثابة مرشح((فلتري)) يعطي الضياء فقط للبشر ويدمر الإشعاعات المسرطنة والفتاكة.. والمسك يعني استمرار الانفتاق بعد الارتتاق وذلك باذن الله أي أنّ الأرض مفصولة عن السماء وهو الانفتاق وهذا قائم إلاّ إذا شاء الله عودتهما مرتتقين رتقا واحدا كما في بدء الخليقة وذلك هو الانطواء الكوني العام.

أو من قبيل قوله تعالى:(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)(٢٣)

ففي السماء حبال غير مرئية تشد المجرات والكواكب والنجوم فتجعلها تلتزم بمسارات محددة بكل منها وعنينا بذلك قوى الطبيعة الاربع الجاذبية والكهرطيسية والنووية القوية والنووية الضعيفة.(٢٤)

ومنها ما يتصل بالشّمس والقمر من المنظار القرآني والعلمي حيث الحركة والطاقة والوجود من قبيل قوله تعالى: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا)(٢٥) وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا...)(٢٦) وهذه هي الحقيقة العلمية، فالشّمس جرم مستقل يستمد ضياءه من ذاته والقمر جرم بارد يستمد نوره من الشّمس.

والمنظار القرآني هو الكشف القرآني للتأويل العلمي لتلك الظواهر فلكية كانت او استدلالية فالشّمس والقمر((يخضعان لنظام دقيق من القوانين الكونية.. وطبيعة هذا النظام انه مسخر لصيغة الكون مرة وللإنسان مرة أخرى))(٢٧).

أمّا المنظار العلمي فهو الحيز الكشافي من المنطقة القرآنية العامة التي تتناول الظواهر القرآنية الحسية بحثا وتفصيلا بإمكانات الإنسان المتاحة له.

والطاقة في المفهوم القرآني هي (الأيد او الحول) ولا حول ولا قوة إلاّ بالله لذا فمصدر الطاقة الأزلي ومنبع القدرة الفيضية هو ساحل القدرة الإلهية ولا قادر غيره والمخلوقات ظل وشبح لقدرته لا حول لها ولا قوّة إلاّ به إن شاء حرك وان شاء اسكن مع منح الإرادة لقسم منها: قانون ينطبق على

الأفلاك والأجرام والمخلوقات والإنسان إذ لا موجود يستقل بحوله وقوته ولا إرادة له إلاّ من إرادته ولكن لا تعارض بين هذا المبدأ ومبدأ الاختيار المقدس الذي هو مدار الثواب والعقاب.

ومنها ما يتعلق بكوكب الأرض من المنظار الفلكي حيث الدوران والثبوت وعلاقته بالكواكب الشمسية لا سيما وان كوكبنا الأرض ومجرتنا درب التبانة هما الأصغر قياسا بمجاورهما من الأفلاك الهائلة والمجرات أو المنظومات الجبارة في هذا الكون العظيم المتناهي أجلاً واللامتناهي حدوداً . قال تعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ)(٢٨) وقال تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ)(٢٩)

يقول الشيخ جعفر عتريسي:((لقد صور الله تعالى لنا الأرض وهي على شكل كوكب يدور في وجه الشمس فيتعرض الجزء المقابل للشمس الى النهار والجزء المقابل لليل فيتكور أي يتدور هذا على ذاك ويسلخ هذا ذاك في ظل تعبير مذهل ودقيق لا يمكن على الإطلاق التغاضي عنه... انه يحتضن المعنى الذي توصل إليه العلماء بشكل تطابقي هائل))..(٣٠)

ومنها ما يتعلق بالنفاذ من أقطار السماوات والأرض أو ما يتصل بالإطباق السماوية وأبواب السماء وهو الاختراق العلمي للصدفات الكونية والحجب الطبيعية بالقوة العقلية البشرية المتمكنة من قهر الزمان والمكان حسب الإمكان العلمي من قبيل قوله تعالى: (يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ)(٣١)

بمعنى ان النفاذ بحد ذاته له قانون الهي محدود خاضع لمشيئته سبحانه اذ تبدأ الصواعق والنيازك الالهية بمحاصرتكم واخسائكم فلا تنفعكم مكوكاتكم ومتطوراتكم والى أي مدى بلغت هذه الالات فانها لم تخرج نطاق أقطار السماوات والأرض.

إذن الآية تشير إلى الشهب والنيازك وقد اثبت العلم الحديث انتشار مادة النحاس فعلا في حجارة النيزك التي تكون موادها من مواد الأرض وعناصرها الكيمياوية نفسها ولا جديد فيها، ولولا الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض لامتلأت بالحجارة والشهب في ثوان قليلة (٣٢) مصداقا لقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا..)(٣٣)

ومنها ما يتعلق بالنسبية في القرآن: ((نسبية الزمن ونسبية الشعور بذلك الزمن)) فالزمن من النواتج الوهمية للأنا الإنسانية إذ ليس له وجود وواقع والدليل على وهميته مطاطيته المستمرة قصرا وطولا فلو كان حقيقة ثابتة لثبت ولم يتصرم ويتبعثر في طرفي الماضي والمستقبل وهذا ديدن الخيال والأوهام. فــ(اليوم) – على سبيل المثال- في القرآن هو ((مدة زمنية نسبية أي مرتبطة بالمكان والسرعة))(٣٤) قال تعالى:(وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)(٣٥). فمصداق المفهوم اليومي بمنظار القرآن وهو القول الحق يتغاير حسب نشأته فيوم في الدنيا يختلف مفهوما عن يوم في الآخرة ويختلف عنهما بيوم ثالث في عرصات القيامة إذن نسبية الزمن تكون توافقية مع النشأة.

وكذا قوله تعالى: (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب)(٣٦) فقد ((أرجعها العلم إلى مليارات السنين من أيام الدنيا))(٣٧) ذلك ان نشأتها من مختصاته وحده جلّ وعلا.

أمّا نسبية الشعور بالزمن فهو يتطاول ويتقاصر حسب الظرف النفسي للكائن، وبما ان الزمن هو وعاء الإحداث فالحال يأخذ صفة المحل، قال الله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا.)(٣٨)

وتمثل الآية نسبية الشعور الإنساني بالزمن وهي إشارة إلى سعة الإدراك المطلق مقارنة

بالإدراك البشري المحدود...؛ يقول البقاعي: ((وقد جعل (في يوم) من صلة (واقع) أي: يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم، وهو يوم القيامة امّا أن يكون استطالة له لشدته على الكفار وأما لأنه على الحقيقة كذلك. قيل: فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن إلاّ كما بين الظهر والعصر.))(٣٩)

وإنّ معرفة الزمن الحقيقي بأحداثه وسكناته هو من مختصات الباري او ممن علمه من عباده الذين أوتوا العلم والإيمان ذلك وهي من كوامن الغيب المكتم*، فمثلا ما جاء في قوله تعالى لأبليس عليه اللعنة: (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩)قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠)إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم)(٤٠) يقول الإمام علي عليه السلام في معنى الآية:

(فأعطاه الله تعالى النظرة استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة)(٤١) فهو إشارة إلى أن تحديات الزمن الحقيقي من ضمن معلومات الغيب.

وعلى ما تقدم فان الآيات الكونية تشير بإصبع الدلالة إلى أنظمتها العلية أو عللها في المنطقة النظامية ذلك ان كل شيء – كما يقول السيد الشهيد الصدر الأول((في هذا الكون الواسع يحمل معه قانونه الرباني الصارم الذي يوجهه ويرتفع به مدى ما يتاح له من ارتفاع وتطور..))(٤٢) ولذا تصلح أن تكون هذه – وبحكم التسبيب العلمي الثابت- تأصيلاً لجميع الظواهر العلمية في الكون لكونها ((تحمل عدة حقائق علمية غير قابلة للجدل عن الكون بما انها كلمة موحاة من الخالق عز وجل وبالتالي الحقيقة المطلقة)).(٤٣)، وإن هذه الحقائق المبثوثة في الكون على وفق نظام ثابت يسميها القرآن الكريم سنة لا تحويل عنها ولا تبديل لها لاضطراد تحقق القانون فيها وتمثلها (الحتمية السببية)، فكل شيء بمقدار موزون وبمعادلات نظامية مضبوطة (مكممّة) وفق النظام الالهي العام.

٢- كمونها العلمي وأدلتها:

ويعني الإعجاز القرآني في هذا الباب: تجدد الظهور الإعجازي الكوني فيها تارة بعد أخرى بفعالية الكمون الرصدي المستمر في النص القرآني لأنه ذو حركة وحيوية متدفقة مستمرة.

وبما ان اللاتناهي مختصاً بالعلم الإلهي فالقرآن امتداده بامتداد غايته من هداية البشر لا سيما وان معادلته الإعجازية تنطوي على ثوابت مستمرة ما دامت الغاية من وجودها موجودة في الأفق المنظور لمستقبل الإنسانية وعلى هذا فإن المعادلة توضح في الإعجاز من باب عدم محدودية المعارف والعلوم المنبثقة من النص القرآني، فمن ذلك أن التعبير الواحد كما يبين الدكتور السامرائي(قد ترى فيه إعجازا لغويا جماليا وترى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً أو إعجازاً تاريخيا أو إعجازاً نفسياً أو إعجازاً تربويا أو إعجازا تشريعيا أو غير ذلك)(٤٤)

وإنّ امتداد هذه المعادلة يعين على استيعاب الإعجاز القرآني عبر الزمان والمكان أي أن الإعجاز يبقى شامخا في جميع العصور وفي جميع الأمكنة ولا يمكن للإنسان أن يثلم منه ثلمة واحدة وهذا الامتداد يشمل حتى حياة الإنسان بعد الموت بما يؤكد((انه لا نهاية لوجوه إعجازه.))(٤٥)

ويرى الرافعي ان مرد الاعجاز الى شيئين:

(ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت، فيصير من الامر المعجز الى ما يشبه في الراي مقابلة اطول الناس عمرا بالدهر على مداه كله)(٤٦)

إذن فعالية هذا الكمون القرآني المستمر تنبه العقل البشري الذي كلما أتى بجديد قال له القرآن:

إنا سابقوك لذلك...

من هنا((فلا تكون المعجزة معجزة حتى تعجز قدرة الناس كلهم عنها... جيلا بعد جيل ...مع بقائها هكذا تتحدى قدرة الناس الى ابد الدهر!))(٤٧)

فمعطيات العلم الحديث على ضخامتها لم تفك أسرار عصا موسى ولا نار الخليل الباردة ولا طوفان نوح المدمر فبقيت المعجزة معجزة لحد الآن.

لذا كانت امتدادية إعجاز القرآن ليس لصفة مزيدة عليه بل من لبابه وذاته المشخصة له لأنه روح القرآن وعليه فالاعجاز بلحاظ هذه الامتدادية منبع فياض متواصل لا نفاذ له ، والحفظ الالهي من مختصاته.

وبعد فإن في ذكر الآيات الكونية والعلمية فيه دليلا على اعجاز آخر هو اعجاز التدبر العلمي الذي يختص باستبيان الظواهر الكونية وما يتعلق بالخليقة منذ القدم الى يومنا هذا وما سيحصل في ملاحم آخر الزمان...

ولما كانت الكمائن القرآنية تمثل انطواءً سرياً او خطاً خفياً للإعجاز فهي لا تظهر الا حين الحاجة اليها لذا فذكر الآيات الكونية والعلمية دليل على إعجاز آخر من باب الاشارة الى الظاهرة من خلال المظهر او من خلال صحة البحث العلمي وتدعيمه لما جاءت به نصوص القرآن من ذلك قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ)(٤٨). فهذه الآية في دخانية السماء وهي لم تزل مسالة ميتافيزيقية كامنة وفيها بوابات بعيدة للنظر لم يحصل لها التحقق النهائي كما ان فيها زاوية صحيحة في بحث المستقبل والعلم قاصر عن البت فيها. أمّا إعجازها العلمي فيتمثل في ان القرآن قد طرح هذه القضية العلمية في بيئة صحراوية قبل اربعة عشر قرنا بما يستحيل على تلك البيئة ان تنتج مثلها.

لقد أشارت هذه الحقائق القرآنية العلمية الكامنة الى صحة البحث العلمي وهي((لم تكشف الا بعد قرون من التنزيل لذا كانت كل اية منها برهانا علميا ودليلا منطقيا عقليا على ان القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى مصداقا لقوله: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا.(٤٩)) (٥٠))). هذا من جهة ومن جهة أخرى فان العقل هو الرسول الأول والاخير حيث فتح الله الكون به بالاستدلال وبقي بعد ختم النبوات هو الرسول الباطني للإنسان بمعنى ان الانكشاف العلمي المتوافر لدى العقول البشرية ينطوي على تجل سرياني للعلم الإلهي من خلال الطاقة البشرية ومن هنا فالآيات الكونية هي من مظاهر الإبداع الإلهي في خلقه تكوينا وتدوينا فهي كبقية آياته وظواهره تشير بأصبع الواحدية إلى خالق واحد قاهر فوق عباده.

اذن فهذه الآيات هي توسيع لرؤية العقل كما تتوسع النقطة اذا عادت الى بحرها، فالعقل الشخصي قطرة من بحر القرآن الذي استلت منه بإعجازه وعلى ذلك: فالقرآن في تثوير وتنوير للمدارك والعقول.

أما الأدلة القرآنية فتتمثل في حقيقة وجود هذه الكمائن التي تمد المعنى القرآني باستطالة غير محددة عبر الزمان والمكان وهي تحمل خطابا غير مباشر الى العقل الإنساني بإيماءة دالة انه ليس بمقدوره ان يرتقي الى مستوى الحقائق الثابتة الاّ بالاشراقات الإلهية وذلك بالاتّصال الروحي بالله سبحانه وتعالى وبالرسوخ العلمي والتدبر المتطاول في امكانات القرآن الهائلة لأن((القرآن بالنسبة للعلوم المكتشفة من زمن ادم الى زمن نزوله ومن زمن نزوله الى يوم القيامة لا يتغير ولا يتبدل هو القدوة في جميع هذه المراحل باعتماده على الحقائق والواقعيات وهو المتفوق والحاكم والمهيمن على جميع الآراء والأفكار والثروات العلمية والعلوم التجريبية والعقلية وتلك الآية هي: لقوله تعالى(وانه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(٥١)))(٥٢).

فهذا المكنون القرآني يمثل الرصيد الاعجازي المتجدد في مواجهة المحتوى العلمي او المتحدي، وذلك بزخم الكمائن النظامية التي تبقى طاقتها ممدة لموارد الاعجاز.

وقد ذهب كثير من المفسرين الى القول(بحركية القرآن) على وفق كمائنه المتحركة بحركة الزمن العلمية لا سيما في تناولهم لمبحث(الجري والانطباق) وهو((ان الآيات تمتلك معاني عامة وكلية وان آيات القرآن شاملة لكل الطوائف ما كان منها وما سياتي كالشمس والقمر في حركتهما الدائمة الدائبة في السماء فهما ينيران كل نقطة يصلانها ولا اختصاص لهما بمكان دون مكان والقرآن كذلك...))(٥٣)

وفي ضوء المعادلة الإعجازية فان الإعجاز أولا – كما يرى الدكتور احمد الكبيسي:((يكون متساويا مع قدرة العقول على الفهم، كما قال تعالى في سورة الروم: (...إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٥٤)) وكما قال تعالى في سورة العنكبوت((وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٥٥))(٥٦)).

ولما كان الإعجاز يتكيف مع مستويات الفهم فذلك لكونه متفوقاً على العقول لا مساوياً وعليه وفي ضوء الآيتين الكريمتين فإن الآيات الإلهية غير محددة لكون القرآن فيه تبيان كل شيء وكذلك الأمثال لأنها مضرب الهي وركن إعجازي تتمثل حسب مستويات عقول الناس.

وإنّ استشراف هذه المقولات التفسيرية وصولاً إلى ملامح الإعجاز الكلية من باب استجلاء قسم من الكوامن قدر الطوق والسعة وهي منطوية أساساً تحت معادلة الإعجاز القرآني.

((وان الإعجاز القرآني ثانيا: يكون متطورا مع طاقة العلوم على التفسير كما قال تعالى في سورة فصلت: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...(٥٧)) (٥٨)))

وهذا يعني أنّ مواكبة الإعجاز للعقل البشري في تقدمه العلمي يعد بمثابة رصيد عقائدي لانطلاقه في تفسير الآيات الكونية؛ إذ تقترن معرفة الكمائن في هذا التطور بالوقت فهي تتوضح حقائقياً في أوقاتها لأنها مسيرة بالقدرة الالهية من ذلك قوله تعالى في وصف تكوين السماء((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٥٩))) وقوله تعالى : (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا)(٦٠) فالسماء الأولى المادية ذات النجوم والكواكب والمجرات أمّا البناء فوقها المتبوع بواو العاطفة فانه السماء الثانية فما تلاها وهي سماوات غيبية سكانها الملائكة والأرواح وهي ليست مادية وإعجازها الكوني توضيح وتنصيص على قوانين علمية لم يتوصل العلم الحديث إليها الا بوقت قريب جدا فهو اعجاز بالسبق الزماني للحدث العلمي المشار إليه بالآيات الكريمة... ولا يتوقف هذا الايساع الكوني الا عند الطي فانطواء السماء كطي السجل للكتب وقت ظهورها حين انتهاء الكون بالانطواء الكوني بالفعل والتحقق لقوله تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)(٦١) فالانفجار الكوني العظيم بالمنظور العلمي– أحادي لا يتكرر وقد بدأ التوسع نتيجة تلقائية لذلك الانفجار قبل مليارات السنين وهذا يؤيد الفكر الإسلامي بحدوث الكون وان لكل محدث نهاية حتمية فلا نقول : بولادة ثانية او انفجار ثان بل ينتهي الكون بالوضع الانطوائي الموصوف في القرآن بلحاظ اندثار السماوات والأرض وانطوائها بمينه سبحانه كما تطوى الكتب فى السجل فالكون كما فتح انفجارا يختم انطواءً اذن الكون كمخلوق (محدث) له بداية وله نهاية ولكنه عمر متطاول.

وبذا فان كثيرا من الآيات الكونية تشير إلى العلوم الكامنة في القرآن وهي لآليء تستخرج تباعا مساوقة لتقدم العقل البشري ولها القدح المعلى في الإعجاز العلمي، من هنا كانت الكمائن منبعا لا ينضب لتصديق العلوم الجارية في الأرض والسماء و((بيانا من الله الخالق الذي أبدع هذا الكون ولا بد وان تكون آياته التي انزلها متوافقة مع خلقه الذي أبدع ومن ثم فلا بد وان تكون حقا مطلقا ونحن نرى هذا الحق في زماننا في ظل الكم الهائل للمعرفة بالكون ومكوناته التي بدات تتضح امام رؤى العلماء في زمن العلم والتقنية الذي نعيشه وبصورة لا يمكن أن ينكرها إلاّ جاحد(٦٢)))

وهذا يعني كما يقول الدكتور الكبيسي:((أنّ الله سبحانه تعالى قد انزل آيات وترك تأويلها لوثبات العقول العالمة تتلمس إعجازها على مدى علمها وفهمها وانزل آيات أخر وترك تأويلها لتفجر

المعلومات في النفس البشرية وكشف أسرار الكون العلمية (في الآفاق وفي أنفسهم) وانزل آيات أخرى وترك تأويلها لاستكمال الأسباب وتحقق الحوادث في المستقبل(٦٣))).

وهنا يبقى المكنون القرآني موجودا أبداً رديفا علميا احتياطيا للإنسان لأنه من خزائن الله ومن ذلك تكون الآيات تابعة لحراسات الكمائن العلمية التي تقوم- على نحو عال وأمين- بحفظ النواميس الكونية وحماية القوانين الإلهية موازنة وتعضيدا وإبانة على وفق التشكيل الالهي وذلك لإبعاد التحريف وإزالة الخطل وشوائب العلم من العقول البشرية الوافدة لكي تدخل الحرم الإلهي مطهرة نقية (موحدة).

وهذه من انطباق الكتاب التدويني على الكتاب التكويني بفعالية الكلمات التامات وهيمنتها((وسريان أحكامها على كل الكائنات وكيف لا وهي الصادرة عن عالم الأمر النافذة والإرادة البالغة والله جل شانه يقول: (...وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)(٦٤)))(٦٥) ؛ يقول الدكتور الكبيسي:

(وهذا وجه من وجوه الإعجاز القرآني دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يكف عن تفسير القرآن تفسيرا شاملا ومحددا وإلاّ ..لجمد القرآن الكريم عند ذاك وإنما ترك بعض الآيات لتفسرها الأحداث في الزمن الآتي كما ذكر المفسرون:((أنّه لما نزل قوله تعالى في سورة الأنعام: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله من ذلك ولما اعقبه قوله تعالى : (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ..(٦٦)) قال: (هذا أهون ولما يأت تأويلها بعد(٦٧)). وهذا اكبر دليل على الكمونية بلحاظ البعد التأويلي((وهو تفسير متقدم على ميعاده)) وبما يؤشر الى لا نهائية النص القرآني في تفسيره وتاويله، من هنا نجد انه قد عرض قسما من هذه الكمائن موضع الحاجة وابقى في طي الكتمان ما يتطلبه المستقبل مستترا ومدافعاً.

وان تحقق الإعجاز العلمي في الآيات الكونية بحسبان استمرار الجهل البشري النسبي ازاء العلم الالهي المطلق فالجهل يقل بأخذه إقباسا بمرور الزمن من النور الالهي الذي لا تطفأ مصابيحه...ومع ذلك فالفجوة المعرفية قائمة في ذات الإنسان لذا فالكامنية هنا ترفد الإعجاز بمطاولة لا نهائية اذ تمثل الكمائن العلمية جزءا من هذه المطاولات الكمونية، وفي هذا المعنى يقول الرافعي رحمه الله:((وبالجملة فقد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع اوفي منه في عصره بيد ان القرآن كتاب كل عصر وله في كل دهر دليل من الدهر على الاعجاز ونحن قد قلنا في غير الجهات التي كتب فيها كل من قبلنا وسيقول من بعدنا فيما يفتح الله به ان ذلك على الله يسير))(٦٨) .

فالكمائن القرآنية في هذا المعنى هي المستمدة من وضع القرآن الأتم من كل وضع ممكن آخر وهي أدلته الإعجازية المتفردة المتجددة؛ ولما كانت الهيمنة الآن للعلوم فالإعجاز العلمي هو المتصدي والمتقدم للمواجهة وقد كان هذا الإعجاز في عهد الرسالة منزلا كامنا فيه لحين مسيس الحاجة إليه وحصل ذلك في عصرنا الحديث أما في وقت البعثة فلم يكن ذا جدوى بل كان في مرحلة كمونه وسباته المؤقت، وما يعضد هذا ان قسما كبيراً من هذه الآيات كامن لمعطيات العصور اللاحقة حيث تظل معانيها كما يقول الدكتور زغلول النجار :((تتسع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد حتى تبقى الآية القرآنية الكريمة مهيمنة على المعرفة الانسانية مهما اتسعت دوائرها (وليس هذا لغير كلام الله) وحتى تصدق نبوءة المصطفى صلى الله عليه وسلم في وصفه للقران الكريم بانه لا تنتهي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد))(٦٩).

٣- ((تعاقبها الاعجازي واضطرادها))

تتعاقب معاني الآيات القرآنية الكونية بعروضات مختلفة إذ تحمل كل منها صورة بلاغية لقضية علمية فالشمس والقمر موقعا في السماء ورؤية من الأرض، ونتيجة الحركة السباحية لهذين الجرمين مع الأرض تتولد ظاهرة الليل والنهار وهي ظاهرة متعاقبة مضطردة على نحو الإعجاز هذا يعني: أن النص القرآني يبقى ثابتا حتى لو تعاقبت الظاهرة واستمرت فالنص يبقى صحيحا في جميع الأحوال لا في بعضها، لأن النص هو الذي يواكب الظاهرة في مصداقيتها أي ان النص يجري في المصداق وهذا ما يجعله مصورا للحدث تابعا له في الاضطراد والتعاقب وليس العكس.

وإنّ هذا التعاقب الكوني مضطرد بالدليل الطبيعي الذي يمثل حساب الأيام والشّهور والسنين وبالدليل الفلسفي هو مقولة العلماء بان الكون محدث ولا بد له من انتهاء فحدوثه بزوغ نهاره وانتهاؤه ادلهمام ليله.

وسنقف عند ملاحظ من هذا التعاقب الإعجازي في الغشيان والتكوير والإيلاج والسلخ مع الإشارة إلى غيرها من الدلالات المشتركة في هذا المعنى إذ أنّ الجامع فيها أنّها عمليات توصيف لآلية فلكية تحدث يوميا على نحو تعاقبي بين ظاهرة الليل والنهار من باب اعتبارهما ظواهر تسخيرية مدبرة، واعية لواجبها ومطيعة لخالقها ونافعة للبشر.

-أ- قال تعالى في معنى الغشيان: (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا...(٧٠))). فالغشيان: الموالجة والتزحلق حسب المناطق ليلها على نهارها وبالعكس لان الارض كروية..، وقد ياتي الغشيان بمعنى التراكب فبعد ان يجري خلفه ويلحقه ويستحوذ على مناطقه وكأنّه علاه وامتطى ظهره وكل هذه الوجوه قائمة في سياق واحد منسجم.

أمّا الطلب الحثيث فهو التعقب والجريان خلفه اذ ان التعبير بـــ((يغشي)) يبين الطبيعة التخالفية للمغشي والمغشي عليه من باب التقابل والتناظر ..، وتعاقبية الغشيان أيّ يأخذ كل منهما حينا من التعاقب وهنا يقول سيد قطب رحمه الله وهذا هو الليل يسرع في طلب النهار فلا يستطيع له دركا..(٧١))).

ومن هذا الباب قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١)وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى)(٧٢)

فـــ((يغشي)) هنا: أي ادلهم واستحكم في أطراف السماوات بمعنى القى الليل سدوله ..، اما النهار اذا تجلى فهو انبلاج نور الفجر وانسحاب السدف الليلية من ظلمات الأطراف السماوية فأصبح كل شيء متجليا بالقدرة الإلهية.

فتعاقب الليل والنهار تكرار معنوي اذ يعني التعاقب دوران المعنى بعضه على بعض: ليل فنهار وليس المقصود بالمعنى الزمني لليل والنهار لان هذا المعنى يدل على ان الأرض مبصرة حين النهار فلما تغشاها الليل أصبحت مظلمة ومن ذلك فتعاقب ظاهرتي الإبصار والإظلام على المنطقة الأرضية نفسها.

-ب- وقال تعالى في معنى التكوير:((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ...)) (٧٣)

وهذه المداخلة التعاقبية بين الليل والنهار على وفق نظام أكمل إذ تشير الآية إلى أن بادئة النهار هي خاتمة الليل وبالتقابل التكويري يكون العكس صحيحا فنهاية النهار بادئة لليل وهكذا يتجلى المنطق القرآني بأنصع دلائله النظامية يقول الزمخشري:

"والتكوير: اللف واللي، يقال: كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه: منها: أن الليل والنهار

خلفه يذهب هذا ويغشي مكانه هذا وإذا غشي مكانه فكأنما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس... ومنها أن كل واحد منها يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر ولف عليه ما غيبه عن مطامح الإبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض..(٧٤))). لذا فإن التفاف النهار على الليل او العكس تعاقبيا يتجلى عندما ينتهي احدهما يبدأ الاخر فلا فاصل زماني، فهنا كرة متواصلة قوامها الليل والنهار في حركة فلكية دائبة وكما يصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)) (٧٥).

–ج– وقال الله تعالى في معنى الإيلاج :((تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ...))(٧٦).

وهنا بيان اخر لتعاقبية الأثر والدخول في الوظيفة والشروع في ليلية الليل ونهارية النهار؛ فهو تشابه إيلاجي بين تبادل الليل والنهار لوظيفتهما اليومية فالإيلاج هو المداخلة والموالجة هي استبطان الخارج واستخراج الباطن وهو إشارة إلى أن النهار يتحرك في أحشاء الليل((بلطيف الممازحة وشديد الملابسة))(٧٧) والعكس صحيح بما يحقق ((الدخول والتداخل لأحدهما على الآخر مما يزيد من طوله او ينقص منه (٧٨))) ((وذلك بحسب مطالع الشمس ومغاربها))(٧٩)، يقول البقاعي في معنى الآية:((أي تدخل كلا منهما في الآخر بعد ظهوره حتى يذهب فيه فيخفي ولا يبقى له أثر، قال الحرالي:((ولما جعل المتعاقبين من الليل والنهار متوالجين جعل المتباطنين من الحي والميت مخرجين، فما ظهر فيه الموت بطنت فيه الحياة وما ظهرت فيه الحياة بطن فيه الموت...))(٨٠).

–د– وقال تعالى في معنى السلخ: ((وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ.(٨١)))

السلخ هو الانفكاك والانفراج والتناوب في التسمية غير مقصودة لانهما متكوران فحقيقة الليل في النهار وحقيقة النهار في الليل وهذا من التعبير القرآني لان حقيقتهما غيبية ولا يمكن استكناه ملامحهما إلاّ للراسخين في العلم وقوله:((فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ)) بإذهاب الإنارة من نسيج الظلمة لا يبقى إلاّ الظلام فالانسلاخ عملية معاكسة للإيلاج فتلك سحب وهذه ادخلا فإذا سحب العنصر النوري من خلفية الظلام لم يتبق إلاّ هم مظلمون. يقول الزمخشري :((سلخ جلد الشاة: اذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقي ظله (مظلمون) داخلون في الظلام.))(٨٢).

ويرى الدكتور ابو موسى أنّ الاستعارة هنا جاءت لا لتصف المشهد فحسب بل لتوظفه في مساقط الفكر والوجدان توظيفا راقيا فيقول:((ليس المراد وصف الليل وهو يزحف على بقايا النهار وانما المهم النظر الى الاقتدار الهائل الذي وراء ذلك..(٨٣))) فالتعاقب زمني أي هو الذي يولد الزمن بمثابة عداد فلكي مقرونا بحساب الأيّام والشهور والسنين وفيه منافع للناس... ومنه القول: (بالحمرة المغربية) وهي ظاهرة غشيانية لبداية الليل وولوجه حيث انتهاء النهار والشمس في جهة المغرب آن وقت صلاة المغرب أو بمعنى آخر: هي شاخص زمني للدلالة على ولوج الظلام في إشراق النهار الذي يتحول إلى احمرار قاتم على نحو تدريجي لإنهاء مدة النهار وبداية تولج الليل او القول((بالفجر الصادق)) وهو عمود ضوئي او شاخص زمني من ضياء النهار يبدا بالانتشار أفقيا يخترق غواسق الليل ويستمر في ذلك طولا وعرضا بمعنى انه إيلاج لإبداء النهار...

وهاتان الظاهرتان طبيعيتان، اذ يتوقف الفقه عليهما بتوقيت صلوات المغرب والعشاء والفجر لا اعتمادا على التوقيت الزمني بل على التكوير النهاري الليلي لأنه أقرب بالحقيقة واخص بالطبيعة وبذلك كان الإسلام دين الفطرة.

ومن هذه الثوابت الفقهية حددت فضيلة تلكم الصلوات، قال السيد اليزدي رحمه الله:((ووقت فضيلة المغرب من المغرب إلى ذهاب الشفق أي الحمرة المغربية ووقت فضيلة العشاء من ذهاب

الشفق إلى ثلث الليل ووقت فضيلة الصبح من طلوع الفجر الى حدوث الحمرة في المشرق.(٨٤))).

ومن هنا فإن الخطاب الفقهي التشريعي يستنبط على وفق النظام الأتم للكون العام فمن منطلق الاستبيان لتعاقب الضوء والظلام على البسيطة وما يتعالق بينهما من توقيتات شرعية للصلاة والصيام والحج والزكاة بصدد الحمرة المشرقية والحمرة المغربية والفجر الصادق والفجر الكاذب او تميز الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ومد الظل، والريح المظلمة والزلزلة والكسوف والخسوف وغيرها؛ لأنّ القضية الفقهية يجب أن تتدرج ولا تشذ عن نظامية الكون العام والأتم في إعجازه بدعوته إلى الاعتقاد بعظمة هذا القرآن وإلا أصبحت عقيدة باطلة ومن هنا فالحكم الفقهي يجب أن يراعي المصالح والمفاسد وهذه خاضعة لهذا النظام الكوني الذي يعد في سلسلة متواصلة بين العلة والمعلول لا فكاك بينهما وعندها فالاستنباط الفقهي إن أصاب في حيز النظام الأتم كان حكما حقيقيا وإلا يكون خاطئا باطلا في حال عدم خضوعه لكمالية ذلك النظام.

ويتجلى التكرار الاعجازي – في هذا الباب– وذلك في استعراض النظام الكوني بمختلف قوانينه ونواميسه؛ لأنه نظام شامل تقصر العبارة العادية عن استيعابه فيلجأ بذلك القرآن الكريم إليه لاستيعاب اكبر قدر ممكن من ضوابط هذا النظام والياته بأوجز عبارة وهذا هو روح البلاغة ذلك أن الجامع المشترك بينها هو التناسب النظامي لأنها آيات كونية والآيات الكونية تتبع النظام في حركاته وسكناته، من هنا أصبحت مشتركات بالترابط التسخيري: أي أن تسخير السباحة الشمسية والقمرية لخدمة الإنسان تتولد عنه الموالجة بين الليل والنهار والتكويرية الكونية ورفع الأرض بلا عمد وهذه كلها ظواهر يجمعها استمرار الحركة التعاقبية لمبدأ التسخير للبشر لأنّه النص المتكرر في الجميع وعلى هذا فالتكرار إشارة للمنة الإلهية بتسخير هذه الظواهر الكونية الضخمة للناس كافة قد أصبح تكرارا هندسيا متجاوزاً مستواه البلاغي الى افاق نظامية معجزة بدليل إمكان الجمع بين هذه الظواهر الحركية اذ تجمع كل هذه التحركات بحساب الدقة العلمية المواكبة ويتم ذكرها كاملة أو يذكر أحيانا بعض الأفعال لاستيفاء جميع هذه الحركات فضلا عن إن كل هذه المعاني ذات احتمالية لأنها تتدرج في ظاهرة واحدة بمعنى ان الحدث الواحد يتمخض عن تعددية في وصف الأفعال يتقبلها النص القرآني، بقبول حسن وهذا من أوجه الإعجاز القرآني وما على الإنسان إلا أن يعتبر بها مستثمرا إيّاها في الانجازات العظيمة.

وهي تقع حاليا ضمن التقسيم العلمي وكانت سابقا تحتاج إلى تأويل قدر المستطاع كتقريب أولي وتمهيدي لما تحمله من انجاز علمي مع أنها عين الحقيقة قراناً وفلكاً وعلماً لأنّها معاشة على سطح الأرض وهذا كلام قبل ان تكتشف كروية الارض قبل عشرة قرون وهو من دلائل الاعجاز العلمي للقران على ان هذه العمليات وان كانت حقيقة لخالق هذا الكون فان الإنسان قد توصل اليها بفعل التقدم التقني.

ومن هنا يقول الأستاذ حنفي احمد:((يتلخص مجمل نظام تولد الليل والنهار في ان الأرضين خلقت كرية الشكل وتدور حول نفسها امام النجوم الملازمة لها فصار الليل والنهار يتعاقبان عليها بالاغشاء والتكوير والإيلاج))(٨٥).

لذا فإن عملية انتهاء النهار وتسلل الليل هي عملية موت مؤقت للنهار ولكن عودة النهار في اليوم القادم تمثل بعثه من جديد وتخليقه وإحياءه فالنهار وبشكل دائم بين موت وإحياء أو وجود واختفاء وكذلك ينهج نهجه وهذا يؤكد أن عملية اختفاء الشيء لا تعني عدم إعادته بل يعود وعلى نحو تعاقبي مستمر.

اما مجازات القرآن في هذه الآيات فإنّها تخدم استعراض النظام بالصورة الوافية اذ انها سخرت لبيان أركانه وتوضيح مفرداته بايسر طريقة وأعلى بيان كما في قوله تعالى: (وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا..(٨٦)). قال عبد القاهر الجرجاني:("التفجير" للعيون في المعنى وأوقع على الأرض في اللفظ...وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا...وذلك انه قد أفاد أن الأرض قد كانت صارت عيونا

كلها وان الماء قد كان يفور من كل مكان منها...(٨٧))، لأن: ((مثل هذه المجازات التي لا يحدها علم بشري او بيئة معينة، فاستعارتها تارة من أعالي الجو وما فيه من ظواهر وتارة من الصحراء وأخرى من أعماق البحار. ان مجازات كهذه (بالضرورة) يجب أن تكون صادرة من خالق هذه البيئات والأجواء والمحيط بكل شيء علما. (٨٨)))

وروح البلاغة في هذه الآيات أنها تغطي اكبر قدر ممكن من التقنينات والقواعد الكونية في اصغر حيز نصي، من هنا كان التكرار اختزالا أسلوبيا لتبيان الملامح الممكنة من تعاقبية هذا النظام؛ لان المساحة العلمية أوسع من المساحة اللغوية وعلى هذا فان القرآن الكريم ينتقي بدقة دلالاته – في هذا الباب– مما هو أكثر قربا إلى الحقيقة العلمية، لا سيما وإنها حقائق بالدليل الوجداني إذ لا تستشعر اية إثارة فنية مقصودة يحاول النص إيجادها في النفس الإنسانية بل كلها حقائق دامغة ترغب النفس وترهبها إذعانا لله سبحانه وتصديقا لعظمته ولكنها في فلك الحقائق المتحجبة والثرة بالمعاني اللامتناهية فهي متحجبة بحجاب اللغة لقصور هذه من أن تطال المساحات العلمية والمعرفية التي يحتويها القرآن.

وإبانة تحليلية لما تقدم نقول، انه لما كانت هذه الآيات الكونية قد ثبت فيها التعاقب وأنها ظواهر مضطردة فان هذا التعاقب لا يخل بتنوع الظاهرة لا سيما وان اية الليل والنهار لها عدة مصاديق في لوحة الارتسام القرآني فمثلا: ليلة القدر ويوم القيامة فهذه ليلة ونهار ولكنها بالمدى الأوسع الشامل هي مصاديق لتعاقب الليل والنهار وهذا يعني امتداد الدلالة القرآنية إلى زوايا متعددة كما ان الظلمات والنور هما عبارة عن ارتسام آخر لليل والنهار فقوله تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..(٨٩)).

فالاخراج من مصاديق الإيلاج لان القرآن يعبر عن النهار بالابصار وعن الليل بالمحو وهذه توصيفات من شواخص الإنارة والإظلام، كما ان دهاليز النفس المظلمة وبوارق العقل المشرقة من مصاديق الليل والنهار وعلى هذا فمشرق نفس الإنسان عقله وتأمله ومغرب نفسه جهله وظلمته، وبذا فهو يتارجح بين نهار عقله المشرق وليل قلبه المظلم.

وقوله تعالى: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٩٠)) من هذا الباب المجازي للقران، فالسباحة دليل على مواصلة التغاير بين حالين وان استمرارها هو المحدث لآليات الشروق والغروب والنهار والليل والقبض والبسط والنشر والطي...بدليل ان السابح يغط مرة في الماء (غروب) ويخرج رأسه (شروق)...وهذا من الاستعارة القرآنية((لأن أصل السبح هو التقلب والانتشار في الأرض ومنه السباحة في الماء.(٩١))) فالفلك مدار السباحة والسباحة حركة دؤوبة والحركة ناموس التجدد، ومن هذه فحركة الفلك علامة على الإحياء؛ وكأن الرأس كوكب دري غطه غروبه وإخراجه شروقه وهي عملية مستمرة للسابح إذ لولاها لأصابه الكلل ومن ثم الهلاك والبوار... ومن هنا فان سكون الكوكب فساده وحياته في حركته وتطوره في سباحته، إذن لا وجود للسكون فيه لا سيما وان الله قد خاطبه خطاب حي متميز.

من هذا التكرار المعنوي تفسير القرآن بالقرآن علميا في هذا الباب وذلك بلحاظ الكشف الذاتي بين آي القرآن وهي تمثل مكنونا قرآنياً صادا للفحوى العلمي اذ يبقى الإعجاز القرآني متحديا متحفظاً والعلم يتضاءل أمامه؛ في الوقت الذي يعضد القرآن النظريات العلمية الحقة ويسندها في مسيرها الطويل ويقضي على متناقضاتها بإعجازه إجمالا وتفصيلا.

كقول الرازي في تفسير قوله تعالى: (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ))(٩٢). أما قوله (يقلب الله الليل والنهار) فقيل فيه وجوه: منها تعاقبهما ومجيء احدهما بعد الآخر وهو كقوله (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً...))(٩٣). ومنها ولوج احدهما في الاخر واخذ احدهما من الاخر ومنها تغير أحوالهما في البرد والحر وغيرهما ولا يمتنع في مثل ذلك إن يريد تعالى معاني الكل لأن في الأنعام والاعتبار أولى وأقوى))(٩٤). وهنا الإعجاز كما تقدم في ان كل صفات الأفعال محمولة على توصيف هذه الظاهرة لتقبلها كل هذه المعاني الحركية واستمرارية

التعاقب لكونه على وفاق النص القرآني.

ومن ذلك ايضا قول الدكتور عدنان الشريف في معنى قوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٩٥)) من مثاني قوله تعالى (أي الآيات التي تشرحها قوله تعالى): (او لم ير الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا..(٩٦)) ، وقوله : (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧)رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨)وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا)(٩٧).

ذلك أنّ فصل السماوات والأرض يستتبع بالضرورة توسعهما ، وفي ضوء استشراف تاريخ اكتشاف توسع الكون تتجلى المعاني الإعجازية الكامنة في الآيات الكريمة أعلاه..(٩٨) وهي تتناول موضوع الرتق والفتق وهو موضوع كوني عام داخل في صلب التكوين؛ (فكل رتق قابل للفتق وكل فتق قابل للرتق والسماوات والأرض ستعودان كما كانتا عند قيام الساعة كما أنبأنا التنزيل وكما يفترض علماء الكونية اليوم)(٩٩).

وعلى ما تقدم فالإعجاز العلمي للقران في هذا التعاقب الكوني يتبلور في كنه الناموس الكوني وفي سر الحركات الإلهية الدقيقة التي لا تقبل خطأ ولا خطلاً، فالشمس تشرق من شرق أرضها من يوم قيامها الى حين الزوال فما عصت امر ربها وغيرت مشرقها مع ان لها إرادة مرافقة لتكوينها بمعلوم قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ))(١٠٠)؛ وفي هذا المنطلق كان الخطاب الالهي اختبارا لارادتهما بأمر الاتيان وقد حصلت الإطاعة وهنا يقول الامام علي- عليه السلام- في صفة السماء : (...وأمرها إن تقف مستسلمة لأمره وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها واجراهما في مناقل مجراهما وقدر مسيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما...)(١٠١) وعندها فالاعجاز يكمن في استطراد هذه الظاهرة وعدم تسلل الخطأ او الوهم الى حركات الناموس الكوني الفلكية لا سيما واننا نتحدث عن اجرام سماوية مهولة الثقل الكتلة وتتحرك بسرع رهيبة فما بالنا بالقدرة المسيطرة عليها ومنجزاتها؟ لذا كان القسم الالهي بهذه الآيات كثيرا ذلك انها من الظواهر البارزة في الاعجاز فهي ملحوظة للكل وحجتها دامغة للجميع..

إذن اعجازها البياني يتجلى في استعراض هذه القدرة الكونية الهائلة واستبعاد العبث عن النظام الكوني الحركي بأبلغ وأوجز عبارات وأوفق مناسبات تقابلية تعطي المهم من صفات هذه الحركات اذ ان تنوع عرض هذا الشاهد او تلك الظاهرة بهذه الأفعال توصيفا من اجل اخذ الامر من عدة زوايا والنظر إليه من عدة أوجه لتكون النكتة الفنية في معرض القضية العلمية هي النكتة البلاغية – كما تقدم – وعندها تعم الفائدة ويترسخ القانون الإلهي الكوني.

فمثلا ظاهرة الليل والنهار ذات مساس مباشر بالكائنات الحية على كوكب الأرض على اقل تقدير، ولما كان الله سبحانه تعالى هو الممثل الأعلى للرحمة يهتم بما هو حقيقي مهم لمخلوقاته ويهمل ما كان غير ذي فائدة، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فالنهار بتبدلاته المستمرة يصدق عليه عنوان النهار ولكن يتغير رقمه وعدده الزمني فتلبسه بهذا الرقم يمثل الجدة له بلحاظ تنوع الرقم العدادي ولكنه كأخيه السابق او اللاحق بلحاظ الظاهرة ومن هنا فالتسمية باليوم من باب العنوان الاعم للمدة الزمنية ولذا فقوله تعالى: (يوم القيامة)(١٠٢) هو اطلاق مجازي لانه لا يخصص باليوم المعتاد وكذلك قوله (ليلة القدر)(١٠٣) هو اطلاق مجازي على ليلة قد تتعدى الف شهر. وهذا من معاجز الله تعالى في بيان آياته الكونية..

٤- قضاياها المستنبطة ووجوهها :

لما كان القرآن العظيم لا ينوء بحمل المعاني بل اقتدر بحمل جميع وجوه التفسير والتأويل الممكنة، فإنّ استلال مداليل العلوم الخفيّة للظواهر الكونية هي إحدى مناطق التحميل عليه؛ وعندها ينهض بها مرشداً وهادياً وواعظاً لأنّه يستوعب كل شيء كما قال سبحانه عنه: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)(١٠٤).

وبذلك فإن هذه الظواهر قائمة ناهضة بالقرآن كما أنه يقوّمها أي يعبّر عنها بالنصّ القرآني لذا فإنّ استمرار حركتها مستلّ من حقيقة هذا النصّ المعجز لكونه كلام الله سبحانه وتعالى، وهو المعين الحقيقي للتصريف والتحريك اذ يمثل الكون انعكاساً ظلياً لهذه الحركة القرآنية.

ومن هذا المنظار يمكننا القول إنّ القرآن هو مرآة علمية بها حاجة الى راءٍ يستبصر بها ويتدبّر ما فيها ليستجلي معانيها ودلائلها، وهذا هو مقام العقل المتنور بالايمان والمتفتح على القرآن.

ومن هنا فالمعادلة العلمية للقرآن لا تتكامل الاّ من خلال تثليث دلالي متصل (قرآن معجز، ومكنون علمي، وأذن واعية) اذ تبدأ الإحالة العلمية من القرآن المعجز الى المكنون العلمي لجلب تنبه الأذن الواعية، فإذا ما اختمرت هذه العمليّة ضمن محطّاتها الثلاث أوجدت إيمانا وعملاً صالحاً، ... وهذه المعادلة قريبة من حيث التطبيق من معادلة قرآنية أخرى تستند الى ارتباط تصريفي بين قضايا الإنسان العلمية والإيمانية والنفسيّة مصداق قوله سبحانه وتعالى (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ)(١٠٥).

وهنا يقول الدكتور المهندس خالد العبيدي : (فهذه المعاني الثلاثة مترتّب بعضها على بعض:فالعلم يتبعه إيمان ترتيب بلا تعقيب ليعلموا فيؤمنوا. والإيمان تتبعه حركة القلب من الإخبات والخشوع لله تعالى)(١٠٦)، فإذن هذه تتحقق بآلية انتزاعيّة تكمن في الاستنباط، وبما أنها انتزاع شيء من شيء فهي تتطلب انعكاساً (آيوياً) علميّاً على الأذن الواعية؛ بمعنى أنّ استلال المعاني المدّخرة في النصّ لانتقاشها على مرآة الأذن الواعية، هذا أولاً ، وثانياً، فبتنظيم هذه المواد العلميّة الانتزاعيّة وتصنيفها يمكن ترتيب قضايا منطقية برتبٍ علمية متفاوتة في هذا الباب من مقرّرة وظنّية واحتمالية كما قسّم الأستاذ حنفي أحمد ذلك على وفق مقدماتها وأدلتها في منطقة المعنى العلمي بصريح النص حينا وباشارات دالة أحيانا أخر... وهذا التقسيم يتواءم مع مستويات العقل البشري وآليته في المعاطاة والأخذ والمعالجة اذ يقع بين هذه المراتب الثلاث فهواما متيقن او ظان أو شاك، والا فانه يتوقف عن الحكم الا بعد تراكم التجارب الاستقرائية التي تثبت ناموسا نسبي الثبوت(١٠٧).

ومن هذا يتجلّى للأستاذ حنفي: ((أن الألفاظ ذات المعاني المحتملة في الآيات الكونية يكون المقصود في كثير منها جميع معانيها المحتملة وهذه ناحية أخرى من نواحي بلاغة القرآن المعجزة.(١٠٨))). ولعل مرد ذلك إلى أن لبعض القضايا الاحتمالية المستنبطة تأملاً علمياً يحيلها القرآن إلى قضايا صريحة؛ ومن هنا فإن هذه الإحالة هي التي تنقل الظاهرة الكونية من الواقع المحسوس إلى واقع مقروء والحصيلة من هذه العملية هي الإفادة القرآنية من الظاهرة الكونية بأوسع نطاق وأعلى مدى. وعندها يكون الضابط الاطمئنان العلمي والشعور بالتوازن بين الظاهرة الكونية وتأملها أو ربطها العلمي، وعلى ما تقدم نجد أن هذه التقسيمات مهمة في التحليل والتأويل لما لها من معان ظاهرة وأخرى عميقة وهي بذلك تشير إلى إعجاز الآي القرآني بلحاظ الترابط العضوي بين هذه القضايا، ومن هنا يمكن القول إن هذه القضايا تخدم أدلة التفسير بحساب كونها تراكمات لإثبات رسوخ الإعجاز وتفرده.

وبما أن الكمائن العلمية لم تستكمل مسيرتها النظامية فكذلك النظرة العلمية الشاملة لنواميس الكون الكلية لم تتكامل حلقاتها، وعلى هذا فلم تحصل إحالة علمية كاملة للقرآن إلى الآن بل أصبح اللجوء إلى الإحالات العلمية التجزيئية من باب عدم تكامل النظرية الشاملة للقوانين العلمية في العقل

البشري، ولكن هذا اللجوء قد عضد من الترابط المتبادل بين الكتاب الإلهي والكتاب العلمي (التدويني والتكويني) والمهم فيهما حقائق القرآن العلمية التي لا تنحرف أو تتزايل عن الصواب في حين أن العقل البشري قابل للانحراف والتزايل وهذا يعني أن الراصد المدقق في هذه الاستنباطات هو المصدر نفسه ونعني به مجمل الكتاب العزيز الذي تم انتزاع المواد العلمية منه، أي أنّ العملية التنظيمية لتطبيق المعادلات العلميّة للقرآن يجب ألاّ تتناقض في إحدى فقراتها مع الكتاب العزيز ككلّ.

وتمثل المرحلة الاستثمارية هذه المرحلة المترتبة عن انتهاء حقبة المعارضات والمناجزات بين المؤمنين والمعاجزين أي متحدي الإعجاز وهي مرحلة تكريس الجهد التفسيري في إخراج دقائق المحتوى او المكنون العلمي للقران إلى حيز البحث والدراسة. فقد قال الله تعالى: (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون)(١٠٩) .

لذا فالإحالة العلمية للقرآن هي آلية توضيحية ممكن استلالها من الآيات القرآنية العلمية- وهي أدق من القول (بالتفسير العلمي) بحسبان كونها انتقالا من الدّال (الآية القرآنيّة) الى المدلول (الظاهرة الكونية) هذا من جهة، ولأنها تمثل الجانب التطبيقي للكمائن في هذا المحور فيجب ان تبقى عملية الاستبصار قائمة لتهاوي التفاسير بعد كل مدّة زمنيّة من صدورها ليحل محلها غيرها المتوافق مع الوقت والزمان بما يؤكد على أنّ القرآن خزين لا ينفد وبحر لا يدرك قعره من جهة ثانية ومن هنا يكون الاستثمار مهما في هذا المجال وعندها((لابد من الحرص على توظيف الحقائق العلمية الثابتة كلما توفرت ولكن لما كانت العلوم الكونية لم تصل بعد إلى الجواب النهائي في كل قضية من قضايا الكون ومكوناته وظواهره فلا نرى حرجا من توظيف أفضل النظريات المتاحة...)(١١٠).

ومما يمكن الإشارة إليه أن العلوم الحديثة ليست من نتاج العقل الإنساني كما نعتقد بل هي لطائف الخالق الموجد لهذا الكائن الذي جعله قادراً على استكناه هذه الانجازات العلمية والحقائق القرآنية لا أكثر ولا اقل أي أن : المفتق الحقيقي لهذه النظريات العلمية المترادفة هو العالم بكل شيء وهو الله سبحانه تعالى عبر كتابه، وبذا فالنظريات العلمية تتصاعد قوة كلما تطور الفكر الإنساني حتّى حكّمه ربّه سبحانه على سبيل المثال بطاقة رهيبة كالطاقة النووية وعلى ذلك((نطقت آيات الكتاب وصدرت بها الإرادة الربانية السارية أحكامها على كل البشرية انه لا سبيل إلى ذرة من نور خارج نطاق المنح والعطايا الإلهية وصدق الله العظيم حيث يقول:((... وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) (١١١)))(١١٢).

ويؤكد الرافعي - رحمه الله- على هذا المعنى عبر الآلية الكمونية للقران وهي من وقت التنزيل لحين بروز المدعى العلمي في وقتها لكي يصافقها وتكون مفسرة له حين تحقق إشارات الكشوفات العلمية فيقول:((...وإنّ في هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض معاني القرآن والكشف عن حقائقه وان فيها لجماما ودربة لمن يتعاطى ذلك، يحكم بها من الصواب ناحية، ويحرز من الرأي جانبا، وهي تفتق لها الذهن وتؤاتيه بالمعرفة الصحيحة على ما يأخذ فيه وتخرج له البرهان وإن كان في طبقات الأرض وتنزل عليه الحجة وان كانت في طباق السماء))(١١٣). بإذن الله عندما يحين حينها والله عليم حكيم. وذلك بأن الإعجاز العلمي يتفوق على المنظار العلمي لكونه مصدر العلم الحقيقي في العقل البشري من خلال الثوابت القرآنية العلمية، وعندها يتم استشراف المعاني الكامنة بالبحث العلمي، فكل آية كونية تحمل حقيقة علمية ثابتة بل وكثير من المبادىء الأساسية للعلوم مبثوث في كتاب الله الكريم، لذا فإنّ هذه الكمائن متاحة للإبداع المعرفي تأملا ونقاشا فضلا عن كونها الأظهر في تأمل الظواهر العلمية وهي تثبت للعلم الحديث أنها سابقة ورائدة قبل نتاج علماء الغرب أمثال كابلر ونيوتن وفرويد واينشتاين وباستور وغيرهم، بل إن ما توصلوا إليه كان بإشراق خفي من الله سبحانه وتعالى وتنبيه منه لعقولهم لان كل عالم حقيقي كما يقول الدكتور عدنان الشريف-((يرى بعين البصيرة إن كل شيء درسه في حقل اختصاصه هو موقع بقول رب العالمين(..صنع الله الذي

أتقن كل شيء..(١١٤)).(١١٥)).

وهذا كله يومىء إلى قيام معجزة القرآن وثبوتها على مر الدهور ذلك القيام السرّي في ثبوته بالكمائن النظامية (لذا كان القرآن العظيم معجزة أنّى اقتربت منه...)(١١٦)، فقوله تعالى: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (١١٧)) كمنت على مدى عشرة قرون حتى استبان معناها في مستهل القرن الثامن عشر لان السباحة الفلكية لم تكتشف قبل ذلك الوقت...أما الكمائن التوحيدية فهي الأشد ثبوتا في القرآن إذ لا يتوقع للعقول البشرية تفكيك إسرارها على المدى المنظور فهي في أعلى رتبة من الكمائن العلمية التي تقدر تلك العقول على سبرها، لان معارضة التوحيد– وهو أصل أصول العقيدة– تمثل مجابهة النظام الاتم وهو الشرك الممسوخ عن عدالة السماء وعلى ذلك كان روح هذه الكمائن بالتوحيد..

هذا فضلا عن سور وآيات كثيرة في طور الكمون تنتظر العقل البشري حتى يرقى الى عتبة مستواها– في هذا الباب– لأنّ ((ما تضمنه القرآن هو موافق تماما وبدقة وبشكل نهائي لما كشفت عنه التقنية العالية ومعطيات العلم...))(١١٨) ولن يكون ذلك إلا بانطباق ذلك العقل بالإلية المسترشدة بالنص القرآني وهي غالبا ما تكون نظرة استكشافية صائبة لمكنونات الكون العلمية بالتسديد الإلهي في ضوء كتابه الكريم وعندها تنجلي((الحقيقة التي لا يستطيع معها من أهل العلم المكابرة في إن يستطيع مضاهاته أو الإتيان بمثل سورة منه))(١١٩).

الخاتمة والنتائج

وبعد ..

فقد تقصيت ما استطعت– بحول الله وقوّته – لاستشراف الإعجاز العلمي للقران ومحاولة فهمه أنساقاً وظواهر، وهذا ما تيّسر لي فوقفت عليه لأضعه في النقاط الآتية:

١. ان النص القرآني يتّسق علمياً مع الظاهرة الكونية – وان كان هو يرصدها في مصداقيتها – فذلك استناداً الى أن التكويني يطابق التّدويني، وبالاحتذاء المنطقي لهذه المقولة نرى أنَّ النصّ صورة لغويّة للحدوث العلمي في الظاهرة الكونية، فكلاهما مرآة للأخرى فما انعكس في هذا كان صورة في ذاك .

٢. يمثل الإعجاز النظامي حفظ الوجود القرآني بما هو قران لم يصبه شيء من التحريف أو التغيير أو التبديل؛ وان آليات هذا الإعجاز مضطردة في فيزياء الكون وفيزياء النفس وفي حركة القرآن المتجددة معنويا وتثويرياً إذ يتموج النص القرآني على وفق بحار المعرفة التي تحمله من وقت لأخر فهو أيضا من السابحين في الفلك وله مدارات عقلية اقتباسية لعموم البشر إذا ما دار في أفلاك عقولهم ولما كان القرآن كونا مقروءا فهو متجدد في عقول الناس على مدى العصور.

٣. إن الأدلة مشرعة في كل زمان مشيرة بأصابع الدلالة إلى إعجاز القرآن الكريم وحافظيته من لدن حكيم خبير؛ لذا فسمة التولد الاستدلالي (وهو استدلال متولد من استدلال في عملية تسلسلية متواصلة) معضدة لإعجاز القرآن لا تخلو منه الدنيا والى قيام الساعة وان اختلفت أنماطها وأشكالها بتغير المجتمعات والأزمنة..

٤. استوفى القرآن الكريم الظاهرة الكونية المتمثلة في ثلاث مناطق رئيسة، الأولى: السماوات و الأرض وما يتصل بالخلق وتمكين القدرة الإلهية، والثانية: الشمس والقمر وهما في حركة دائبة ذات جري مستمر لغاية محتومة، والثالثة: الليل والنهار وما يحدث بينهما من غشيان وتكوير وإيلاج وسلخ وغيرها..

وهذه أهم شيء لتعلقها على نحو مباشر بالإنسان فقد ارتبطت هذه الثلاث في حركة تعاقبية واحدة

– بالمنظور العام– إذ يتولد منها نظام عدادي لحساب الأيام والشهور والسنين...

٥. إن الإعجاز في الآيات الكونية وثيق الصلة بكلية القرآن بما هو قرآن لا بلحاظ كونها جزءاً علمياً أو بلحاظ الأخرى بيانية أو غيبية مع تحفظ هذه الأجزاء بإعجازها الخاص بها والدليل إن الإعجاز العلمي يتحفظ بخصوصيته الحسية والعلمية والإعجاز البياني له خصوصية يتبلور من خلالها الأسلوب المحكم وتفرد البيان ولكن هذه القيود والتحديدات لا تنافي وحدته المتحفظ بها بحساب كونه قرانا شموليا واحدا.

٦. يبقى المكنون القرآني في عملية حصاد علمي مستمر لمعطيات العصور المتتالية مرفوداً بزخم متفجر من الطاقة الاعجازية كرديف خلفي دافع للعلوم البشرية الى الأمام بتدخل القدرة الإلهية محققا الإعجاز النظامي في كل القرآن وذلك بتوسيع الأثر الإعجازي من الكونيات الى ما بقي من القرآن – بعد التوافر على مشخصات تلك المنطقة– إعجازا متواصلا مضطردا باضطراد الظاهرة الكونية في الوجود القرآني.

٧. إن أصل الكمون ينضوي تحت الإعجاز القرآني فكما أنّ ساق الشجرة يرتبط بجذورها ارتباطا عضويا ترتبط علة الإعجاز وهي (الإرادة الإلهية) بسببية الظهور الكموني المؤقتة زمانا ومكانا، وعندها يمهد هذا الكمون تواصلية الإعجاز وما يقابل هذا في الكون إن الحركة المستمرة للكواكب الكونية تضمن له لانهائية الإيساع بلحاظ قوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)(١٢٠) فالكون يفنى أيضا لأنه مخلوق حيث إن لكل مخلوق نهاية حتمية في علم الله وكتبه..

٨. تأتي الكمائن في الآيات الكونية مفسرة ومعجزة فهي مفسرة لكونها تعطي الدليل العلمي الواضح المؤيد للظاهرة العلمية بالاتجاه الايجابي لا السلبي أي باتجاه الإثبات دون النفي وهي معجزة لبقائها متحفظة بمصداقها الزماني حتى لو بقيت ساكنة لسنوات متطاولة وهي تدافع عن نفسها بالتكور الذاتي والانطواء السكوني – وكثيرٌ منها آيات قسم علمية إعجازية– إذ يعمل هذا إلا انطواء على حفظ أسرارها وعلومها ومعانيها حتى يأذن الله بفتحها..

٩. قسمت القضايا القرآنية من خلال استنباطها من الكائنات تقسيما أصوليا إلى ثلاث قضايا: وهي مقررة وظنية واحتمالية بحسب مقدمات منطقة المعنى وأدلتها بصريح النص حينا وبإشارات دالة أحيانا أخر وذلك بوضعها تحت المسبار الاستدلالي المباشر من باب مراتب الحكم العقلي على القضيّة المشار إليها.

١٠. تعدّ الأفعال الواردة في الظواهر العلمية للآيات الكونية مفاتيح مهمة للربط العلمي والتصوير البياني وذلك لدقتها في توصيف تلكم الظواهر واستعراض فعالياتها، ومن هنا– يمكن على سبيل المثال– حصر هذه الأفعال على نحو التقابل الدلالي كالمحو والإبصار في ظاهرة تعاقب الليل والنهار حيث نشر الظلمة لافتقارها للكاشف النوري وما يقابلها من الصحو وهو ما تمثله أية النهار المبصرة...

١١. وأخيرا؛ فقد كانت الآيات الكونية وليدة الاستثمار العلمي للقرآن: (وهو تثوير القرآن في ضوء الآية الكونية) من خلال فتح أسرار الكوامن العلمية خاصة، إذ تحول القرآن عندها إلى سياسة الانفتاح العلمي بفعالية كمائنه التي تضمن له تجدده وجريانه على مسار الزمان.

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين).

الهوامش والإحالات

(١) جواهر القرآن ودرره، ص٣١-٣٢.

(٢) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم) ٣/١٠-١١.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن/ ص٣٥٥ وينظر ص٣٣٨.

(٤) سورة الفجر/ الآية ١٤.

(٥) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن/ ص٣٠.

(٦) سورة يس/ الآية ١٢.

(٧) سورة يوسف/ الآية ١١١.

(٨) سورة الإنعام/ الآية ٣٨.

(٩) مقدمة التفسير/ ص٤١٣ .

(١٠) المدرسة القرآنية/ ص٢٢٧.

(١١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة/ بحث الدكتور زغلول النجار (آيات الكون في القرآن الكريم) ص٣١٢.

(١٢) الطبيعة في القرآن الكريم/ ص٣٤٢.

(١٣) سورة يس/ الآية ٤٠.

(١٤) سورة يس/ الآية ٣٨.

(١٥) سورة فاطر/ الآية ١.

(١٦) سورة الأنبياء/ الآية ١٠٤.

(١٧) سورة الذاريات/ الآية ٤٩.

(١٨) المرسل الرسول الرسالة/ ص٤٢.

(١٩) الفلسفة القرآنية/ ص١١٧.

(٢٠) من علم الفلك القرآني (الثوابت العلمية في القرآن الكريم) ص٤٦.

(٢١) سورة الحج/ الآية ٦٥.

(٢٢) المهندس ضياء جواد العاملي في كتابه: الكاشف العلمي في التفسير/ ص١٥٥ .

(٢٣) سورة الفرقان/ الآية ٦١.

(٢٤) ينظر: من علم الفلك القرآني/ ص٦٣.

(٢٥) سورة الشمس/ الآية ١.

(٢٦) سورة يونس/ الآية ٥.

(٢٧) التوراة والانجيل والقرآن (بين الشهادات القرآنية والمعطيات العلمية)/ ص٤٩٩.

(٢٨) سورة الزمر/ الآية ٥.

(٢٩) سورة يس/ الآية ٣٧.

(٣٠) التوراة والانجيل والقرآن/ ص٤٧٦-٤٧٧ .

(٣١) سورة الرحمن/ ٣٣-٣٥.

(٣٢) ينظر: من علم الفلك القرآني/ص١٢٣-١٣٢ و، ومضات اعجازية من القرآن والسنة النبوية (الكتاب الثالث) الفلك/ ص٦٥-٦٦.

(٣٣) سورة الانبياء/ الآية ٣٢.

(٣٤) من علم الفلك القرآني/ص١٤١.

(٣٥) سورة الحج/ الآية ٤٧.

(٣٦) سورة ق/ الآية ٣٨.

(٣٧) من علم الفلك القرآني/ص١٤٢.

(٣٨) سورة المعارج/الآيات ١-٧.

(٣٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٩٧/٤.

* ينظر هذا المعنى في سورة الروم/ الآية ٥٦.

(٤٠) سورة ص/ الآيات ٧٩-٨١.

(٤١) نهج البلاغة ص٢٣.

(٤٢) المرسل، الرسول والرسالة/ ص٦٥.

(٤٣) موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة/ص٣١٢.

(٤٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل/ ص٨ .

(٤٥) معترك الاقران في اعجاز القرآن ٥/١.

(٤٦) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص١٣٩.

(٤٧) اعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية / ٣٠٤.

(٤٨) سورة فصلت/ الآية ١١.

(٤٩) سورة النساء/ الآية ١٧٤.

(٥٠) من علم الفلك القرآني، ص٧.

(٥١) سورة فصلت/ الآيتان ٤١- ٤٢.

(٥٢) نور ملكوت القرآن ٢٦١/١-٢٦٢.

(٥٣) نور ملكوت القرآن ٢٧٠/١؛ وينظر : الميزان في تفسير القرآن: ومصادره ٨٤/٣- ٨٥ـ وغيرها.

(٥٤) الآية ٢٢.

(٥٥) الآية ٤٣.

(٥٦) الاعجاز القرآني في وصف اليهود (بحث)/ص٢٥.

(٥٧) الآية ٥٣.

(٥٨) الاعجاز القرآني في وصف اليهود (بحث)/ص٢٥.

(٥٩) سورة الذار يات/ الآية ٤٧.

(٦٠) سورة النبأ / الآية ١٢.

(٦١) سورة الانبياء/الآية ١٠٤

(٦٢) من آيات الإعجاز العلمي القرآن الكريم ٣٥/١.

(٦٣) الإعجاز القرآني في وصف اليهود (بحث) ص٢٦.

(٦٤) سورة يوسف/ الآية ٢١.

(٦٥) الإعجاز العلمي للقران بين الظن والتحقيق (بحث)/ص٢٦٢.

(٦٦) الآية ٦٥.

(٦٧) الإعجاز القرآني في وصف اليهود (بحث)/ص٢٦، وينظر: التفسير الكبير ٢٢/١٣-٢٣، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية هامش ص١٤.

(٦٨) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص١٥٤.

(٦٩) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ٢٦/١.

(٧٠) سورة الأعراف/ الآية ٥٤.

(٧١) التصوير الفني في القرآن/ ص٦٢.

(٧٢) سورة الليل / الآيتان ١- ٢.

(٧٣) سورة الزمر/ الآية ٥.

(٧٤) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١٠٨/٤-١٠٩، وينظر تلخيص البيان في مجازات القرآن/ ص٢٨٣-٢٨٤.

(٧٥) سورة الانبياء/ الآية ٣٣.

(٧٦) سورة آل عمران/ الآية ٢٧ .

(٧٧) تلخيص البيان في مجازات القرآن/ ص١٢٣.

(٧٨) ومضات اعجازية من القرآن والسنة النبوية (الكتاب الرابع: الأرض) ص٩.

(٧٩) مفردات ألفاظ القرآن/ ص٨٨٣.

(٨٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٢ /٥٦.

(٨١) سورة يس/ الآية ٣٧.

(٨٢) تفسير الكشاف ١٥/٤، وينظر: تلخيص البيان / ص٢٧٤.

(٨٣) الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم) / ص١٣٩.

(٨٤) العروة الوثقى ٣٨٧/١.

(٨٥) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن/ ص٢٨١.

(٨٦) سورة القمر / الآية ١٢.

(٨٧) دلائل الإعجاز/ ص١٠٢، وينظر من هذا الباب قوله:((وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا))/ سورة الزلزلة – الآية ٢؛ في كتاب أسرار البلاغة/ ص٣٨٦.

(٨٨) الظاهرة القرآنية والعقل (دراسة مقارنة للكتب المقدسة)/ ص٢٣٧.

(٨٩) سورة البقرة/ الآية ٢٥٧.

(٩٠) سورة الانبياء/ الآية ٣٣.

(٩١) تلخيص البيان في مجازات القرآن/ ص٢٢٩.

(٩٢) سورة النور/ الآية ٤٤.

(٩٣) سورة الفرقان/ الآية ٦٢.

(٩٤) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ١٥/٢٤.

(٩٥) سورة الذاريات/ الآية ٤٧.

(٩٦) سورة الانبياء/ الآية ٣٠.

(٩٧) سورة النازعات/ الآية ٢٧-٢٩.

(٩٨) ينظر: من علم الفلك القرآني/ ص٣٢-٣٣.

(٩٩) من علم الفلك القرآني/ ص٣٢.

(١٠٠) سورة فصلت/ الاية١١.

(١٠١) نهج البلاغة / ص ١٣٤– ١٣٥؛ وينظر: في تفسير العلامة الطباطبائي لقوله تعالى: «ويسبح الرعد بحمده» / سورة الرعد / آية ١٣.... الميزان في تفسير القرآن، ٣٢٥/١١.

(١٠٢) مثاله الآية:((وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)) سورة الزمر/ الآية ٦٧.

(١٠٣) مثاله الآية:((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) سورة القدر/ الاية١.

(١٠٤) سورة النحل / الآية ٨٩.

(١٠٥) سورة الحج / الآية ٥٤.

(١٠٦) المنظار الهندسي للقرآن الكريم ، ص٥٢.

(١٠٧) ينظر : التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، ص٣٧-٤٣.

(١٠٨) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ، ص٤٣.

(١٠٩) سورة الرعد / الآية ٢.

(١١٠) من آيات الاعجاز العلمي في القرآن الكريم (المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم) ١٠/٣.

(١١١) سورة النور / الآية ٤٠.

(١١٢) الاعجاز العلمي للقرآن بين الظن والتحقيق (بحث) ص٢٥٢.

(١١٣) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص١٢٨.

(١١٤) سورة النمل/ الآية ٨٨.

(١١٥) من علم الفلك القرآني، ص١٢٠.

(١١٦) الخطاب القرآني المعاصر ، ص٣٨.

(١١٧) سورة الانبياء / الآية ٣٣.

(١١٨) التوراة والانجيل والقرآن ، ص٥٠٠.

(١١٩) الاعجاز العلمي للقرآن بين الظن والتحقيق(بحث) ، ص٢٥٣.

(١٢٠) سورة الذاريات / الآية ٤٧.

كشاف المصادر والمراجع

١. خير ما نبتدىء به القرآن الكريم.

٢. الإعجاز البلاغي- دراسة تحليلية لتراث أهل العلم-: الدكتور محمد محمد أبو موسى-(ط١) مطابع المختار الإسلامي- مصر ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٣. الإعجاز العلمي للقران بين الظن والتحقيق: (بحث): الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم، ضمن بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني – بغداد- مطبعة الأمة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤. إعجاز القرآن((في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية)): تأليف عبد الكريم الخطيب ط١/دار الفكر العربي- مصر ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م

٥. الإعجاز القرآني في وصف اليهود: (بحث) الدكتور احمد عبيد الكبيسي، ضمن بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني- بغداد- مطبعة الأمة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: تأليف مصطفى صادق الرافعي (ط٩) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان/ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

٧. التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، (ط٢)، مطبعة نمونة- قم- ١٤١٢هـ.ق

٨. التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن: تأليف حنفي احمد- دار المعارف – مصر- ١٩٦٠م

٩. التفسير الكبير: للإمام الفخر الرازي، (ط٣) مطبعة مكتب الإعلام الإسلامية ، إيران الإسلامية ١٤١١هـ.ق

١٠. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تأليف جار الله محمود بن عمر الزمخشري، وبحواشيه، أربعة كتب، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين- (ط٣) دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان ٢٠٠٣م- ١٤٢٤هـ

١١. تلخيص البيان في مجازات القرآن: تصنيف الشريف الرضي، حققه وقدم له وصنع فهارسه محمد عبد الغني حسن(ط٢) دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

١٢. التوراة والإنجيل والقرآن (بين الشهادات التاريخية والمعطيات العلمية): للشيخ جعفر حسن عتريسي (ط١) دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/ ١٤٢٤هـ

١٣. جواهر القرآن ودرره: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (ط٢) دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان/ ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ

١٤. الخطاب القرآني المعاصر: الدكتور جمال نصّار حسين(ط١) دار الاسراء للطباعة والنشر- عمان/ ٢٠٠٠م.

١٥. الطبيعة في القرآن الكريم: الدكتور كاصد ياسر الزيدي، (ط١) المركز العربي للطباعة والنشر- بيروت- منشورات دار الرشيد – بغداد- ١٩٨٠م

١٦. الظاهرة القرآنية والعقل((دراسة مقارنة للكتب المقدسة)): علاء الدين المدرس (ط١) مطبعة العاني- بغداد- ١٩٨٦م

١٧. العروة الوثقى: للسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (قده)، وبهامشها تعليقات الآيات العظام: الامام الخميني والسيخ الأراكي والسيد الخوئي والسيد الكلبايكاني (ط١) الدار الإسلامية – بيروت- ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

١٨.الفلسفة القرآنية: عباس محمود العقاد- المكتبة العصرية- بيروت/د.ت.

١٩.الكاشف العلمي في التفسير: المهندس ضياء جواد العاملي، (ط١)، دار الحوراء للطباعة والنشر – بغداد- ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

٢٠.كتاب اسرار البلاغة: للشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني/ قرأه وعلق عليه : أبو فهر- محمود محمد شاكر (ط١) مطبعة المدني- المؤسسة السعودية بمصر-/ ١٤١٢هـ- ١٩٩١م

٢١.كتاب دلائل الإعجاز: للشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني/ قرأه وعلق عليه : أبو فهر- محمود محمد شاكر (ط٥) الشركة الدولية للطباعة – مصر- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م

٢٢.لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: الدكتور فاضل صالح السامرائي (ط١)، دار عمار لنشر والتوزيع – عمان- الاردن/ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

٢٣.المدرسة القرآنية: سماحة اية الله العظمى الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (ط٣) مطبعة شريعت – قم- ١٤٢٦هـ.ق

٢٤.المرسل الرسول الرسالة: محمد باقر الصدر- دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان- ١٤٠١هـ – ١٩٨١م

٢٥.معترك الاقران في إعجاز القرآن: للعلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ضبطه وصححه وكتب فهارسه / احمد شمس الدين / (ط١) دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م

٢٦.مفردات الفاظ القرآن: للعلامة الراغب الاصفهاني- تحقيق صفوان عدنان داوودي (ط١)- دار القلم (دمشق) و (الدار الشامية) بيروت/ ١٤٢٦هـ –

٢٧.مقدمة التفسير: لأبي القاسم الراغب الاصفهاني(ط١) مطبعة الجمالية – مصر- ١٣٢٩هـ

٢٨.من آيات الاعجاز العلمي في القرآن الكريم: الدكتور زغلول النجار (ط٤)، مكتبة الشروق الدولية (القاهرة- كوالالمبور- جاكارتا- لوس انجلوس) ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م

٢٩.المنظار الهندسي للقرآن الكريم : للدكتور المهندس خالد فائق العبيدي (ط٢)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – عمان – الاردن ، ٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ.

٣٠.من علم الفلك القرآني ((الثوابت العلمية في القرآن الكريم)) : الدكتور عدنان الشريف، (ط١)، دار العلم للملايين- بيروت- ١٩٩١م

٣١.موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة: يوسف الحاج احمد- مكتبة ابن حجر.د.ت.

٣٢.الميزان في تفسير القرآن: للعلامة السيد محمد حسين القاضي الطباطبائي، صححه و اشرف على طباعته الشيخ حسين الاعلمي (ط١) المحققة مؤسسة الأعلمي – بيروت/ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧.

٣٣.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للامام برهان الدين ابي الحسن البقاعي- خرج آياته واحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي (ط٢) دار الكتب العلمية- بيروت ٢٠٠٣م- ١٤٢٤هـ

٣٤.نهج البلاغة – للامام علي بن ابي طالب (ع)، جمعه: الشريف الرضي، تقديم وشرح الشيخ محمد عبده «ط١» طبعة مؤسسة المختار – القاهرة- ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٣٥.نور ملكوت القرآن: سماحة العلامة اية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني- تعريب حسن ابراهيم، (ط١) دار المحجة البيضاء- بيروت ١٤٢٠هـ.ق

٣٦.ومضات اعجازية من القرآن والسنة النبوية- سلسلة- الكتاب الثاني : «المادة والطاقة »و(الكتاب الثالث): (الفلك) و (الكتاب الرابع) / (الارض): للدكتور المهندس خالد فائق العبيدي، (ط١) دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ

Scientific miracle of the Federated States of cosmic

Abstract

Involved the Koran great mechanisms to demonstrate and explain the curriculum of conscience in divine and Sunan wise, and those mechanisms found in cosmic mandates and a pioneer of scientific illustration alive signal to the Quranic miracle regular ambushes that represent a departure from the force to act: the emergence of latency Belhaz continue locomotive in regenerative Moral of the Koran, since then the process continues to link the bug hidden miracle, and effect on devising an explanation and interpretation, however, do not get to the miracle, but the secret behind his last opening Belhaz dominance on the cosmic phenomenon; As this process is impossible at the present time PBUH turns exploring the effectiveness of these Ambushes to the nearest explanatory and intellectual reflective and serious ...

The aim of President cosmic states and review is the multiple manifestations of scientific unite with the originator and Khaliq them, it refers to the diversity and challenges miraculous appearance, either detail in these verses is what raises alert and stakeholders in their respective areas of jurisdiction and competence.

These days carrying only a scientific character (described cosmic phenomenon) has come to the miracle of the surrounding area formed, it does not explain the reasons and Otherworldliness but firm in the science behind the knowledge to dive deep to reach the surface of these phenomena to the areas of scientific order.

These days carrying only a scientific character (described cosmic phenomenon) has come to the miracle of the surrounding area formed, it does not explain the reasons and Otherworldliness but firm in the science behind the knowledge to dive deep to reach the surface of these phenomena to the areas of scientific order.

The miracle in this Quranic verses is the same miracle of potential which has not run out of regular and Belhaz cent coverage for all times and all places for hours, and here gives this miracle of the Federated States of cosmic support and strength as penetrated for stricter time and Havana before Samadanih divine discourse and deepening a tree branch and fixed in the sky The remainder of these ambushes are energy verses Mostagnh require exit gate, a gate to representation (a womb for the birth of the theory) when it is the scientific achievement that painful process of thinking about ambushes and represent the fetus is ready to childbirth, and this birth is not only integrated gathering ideological Alarhasat The historical, social and economic ... Walid occasion of a new scientific theory.